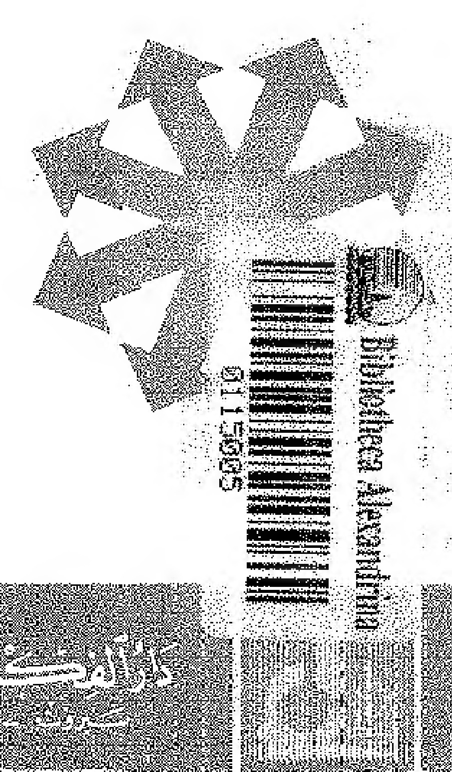
الشيخ خالد النقشبندي

العالم المجدد

حياته وأهم مؤلفاته

جمع وتحقيق

نزار أباظة

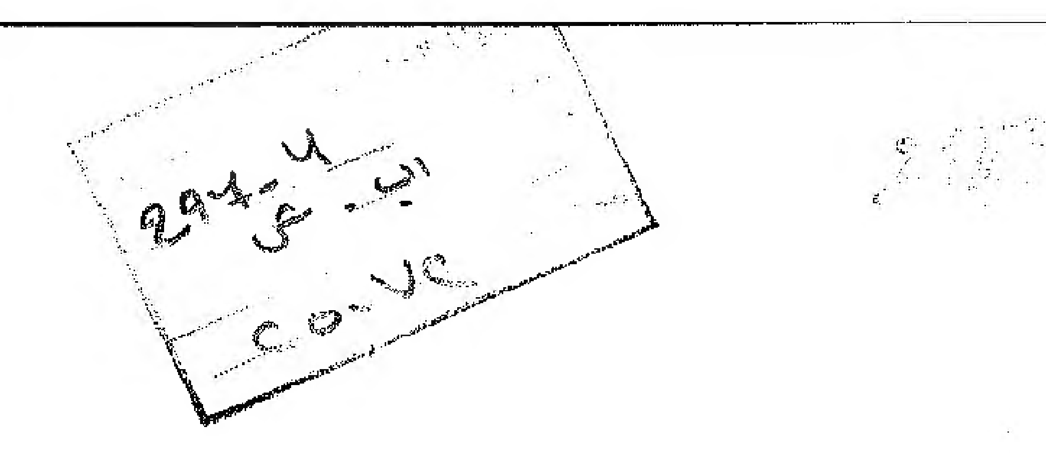


دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ خالد النقشبندي
العالم المجدد
حياته وأهم مؤلفاته



الشيخ خالد النقشبندي

العالم المجدد
حياته وأهم مؤلفاته

جمع وتحقيق
نزار أباظة

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

الكتاب ٩٥٥
الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م

سورية - دمشق - برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد - ص.ب (٩٦٢)
برقياً: فكر - س.ت ٢٧٥٤ هاتف ٢٢٩٧١٧، ٢١١١٦٦ - تلكس FKR 411745 Sy

الصف التصويري: دار الفكر بدمشق
الطباعة (أوفست): المطبعة العلمية بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الشيخ خالد النقشبندي من أهم الشخصيات العلمية التي أثرت خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري ، ليس في حياة دمشق وأهلها فحسب ، بل وفي المشرق العربي كافة ، حتى عدّه بعض المؤرخين من مجددي القرن ، وسمي من أجل ذلك بالمجددي ، كما لقبه آخرون بذي الجناحين ، تشبيها له بالطائر الذي يسبح في سماء الإسلام بجناح العلم وجناح التصوف ، أو بتعبير أهل التصوف : جناح الشريعة وجناح الحقيقة .

كان الشيخ خالد علاّمة عصره في علوم الشريعة علماً مبرزاً بين العلماء الأعلام ، اشتهر منذ أن نشأ في نواحي السليمانية من بلاد الأكراد ، وما زال نجمه يعلو في أفق المشرق حتى طبّق صيته الآفاق ، فأقبل عليه المريدون من الأقاصي والأداني ، ولزموه ، وسلكوا على يديه . كما كان هو يرحل في بلاد المشرق ، ويتنقل في الحواضر الإسلامية ، حتى استقر به المقام في دمشق الشام .

ونشطت في زمن الشيخ حركة التصوف ، ولعله هو الذي نشر الطريقة النقشبندية وغيرها في بلاد الشام ، وعمل على النهوض بها ، فأرشد الناس ، وسلّك المريدين ، وأدخلهم الخلوات ، وأدبهم . ثم بثهم في القرى والمناطق القريبة والبعيدة لغرض الدعوة والإرشاد والتدريس ، فغدا للتصوف في زمنه شأن ، واشتهرت

النقشبندية طريقة انتشرت في صفوف العلماء الذين اجتذبهم الشيخ إليه ، وكان من أشهرهم تلميذه الفقيه المشهور الشيخ محمد أمين عابدين صاحب الحاشية المعتمدة عند الحنفية ، والأمير المجاهد عبد القادر الجزائري الذي عرّج على دمشق حين زيارته الأولى لها وهو في طريقه إلى الحج ، فأخذ عنه هو ووالده الطريق ولقنه الذكر .

وإذا بلغ الشيخ شأواً عظيماً فقد ابتلي بحسد الحاسدين الذين كانوا يضمرون له الشر ، ويطعنون بعقيدته ، ويتربصون به ، وينسبون إليه الأباطيل افتراء عليه ، واجترأ بعضهم عليه ، فأصدر بحقه رسائل نشرت في استانبول والمدينة المنورة للتشهير به ، ولكنه كان يصبر ويثبت ، فيسكت ، أو يدافع عن نفسه بطريقة أو بأخرى . ومن هنا ألف رسالته في العقيدة ، بيّن فيها سلامة طويته وصحة توحيده ، كما ألف في الدفاع عنه تلميذه ابن عابدين المذكور رسالته المسماة : (سل الحسام الهندي في نصرة مولانا خالد النقشبندي) . وقد سعى هؤلاء الحاسدون حينما اشتد كيدهم إلى استصدار فرمان سلطاني يأمر بنفي الشيخ عن دمشق ، ولكنه لم يصل إلا بعد وفاته . فلم يتورع خصومه عن تتبع الأمر إلى النهاية ، وعملوا على تطبيق نصّ الفرمان ، فصدرت الأوامر بتهجير أسرته وحرمه .

كان الشيخ محبوباً من مريديه ، لما كانوا يرون به من صدق الدعوة ، ورسوخ العلوم ، وصفاء التصوف ، وقد كان أتباعه أيضاً على درجة من العلم ، بعيدين عن الزيغ الذي يدخل على المتصوفين في كثير من الأحيان ، وهذا الذي ميز الطريقة النقشبندية ، وجعلها تنتشر الانتشار الواسع في بلاد الشام وغيرها . فكان هو المؤسس الثاني للطريقة ، وأحد أعلامها البارزين .

وقد اتضحت أصول الطريقة النقشبندية تماماً من خلال رسائل الشيخ ، الذي كان يتحدث بين الفينة والأخرى عن أركان الطريقة ، وعلاقة المريد بالشيخ ، وصفات المريد وبيان أحواله ، وصفات الشيخ وآدابه . ويوضح آداب الذكر وطريقته ، ويدعو

إلى محبة النبي ﷺ والإخلاص له ، وتوحيد الله حق توحيده ، وما سوى ذلك مما يتضح طريق الشيخ وطلابه المقربين .

ولقد أحبت دمشق الشيخ خالد النقشبندي ، وبوأته منها المنزلة المحترمة ، فأصهر فيها إلى أسرة كريمة معروفة بدمشق ، هي أسرة الغزي . وتسابق إليه الكرام يبتغون ودّه ، ويتنافسون في محبته . ولما توفي خرجت دمشق كلها في جنازته ، وصلي على جثمانه أكثر من مرة . ونفّذ مريدوه وخلفاؤه وصيّته كما أراد .

ومن عجيب ما حصل أنّه عيّن في وصيته مكان قبره وقال : « أظن أنّ تكية ستقام على قبري » ، فصدّق الله ظنّه . ومن عجيب ما حصل فيها أيضاً أنه عيّن خلفاءه على الطريقة من بعده مرتبين ، فأدركتهم الوفاة بالترتيب الذي ذكره .

والذي ينظر في حياة الشيخ خالد وأعماله ومكانته التي وصل إليها وعلمه الذي حصّله ، ثم يتأمل السنوات القصار التي عاشها (٤٩ سنة قرية) يعلم أنه بورك له في عمره وفي أوقاته . وقضى ذلك ما بين السليمانية والهند وبغداد ودمشق . وفي كل هذه الأمكنة كانت حياته مملوءة بالعطاء علماً وذكراً ودعوة إرشاداً ، رغم أنها كانت مملوءة كذلك بالصخب الذي يثيره أهل الحسد الذين أشرنا إليهم .

وأخيراً فإن الشيخ تميّز بصفة الشاعرية ، لما حمله في صدره من قلب رقيق الإحساس ، وأوتي عارضة في شعره ، فتمكن من القريض ينظمه بالفارسية والعربية على حد سواء ، يهدر فيهما بنفس متزن قوي . وقد أوردنا من أشعاره اللطيفة قصيدته في مدح شيخه الذي وصل إليه بعد طول بحث ، الشيخ عبد الله الدهلوي ، وهي تكفي في الدلالة على شاعريته .

رحم الله الشيخ خالد النقشبندي أحد أعلام دمشق الذين تفاخر بهم وإذ تذكر اليوم كرام هذه الأمة إنّ لنا منهم نبراساً يقتدى .. ولقد اقتدى الدمشقيون بالفضلاء

منذ أيامهم الأولى ، واحترموا أشخاصهم ، ولا يزالون إلى اليوم يذكرونهم بالخير والتجلة ، وصار الشيخ معروفاً بـ (مولانا خالد) .

نسأل الله التوفيق والهداية وحسن الختام ، وأن يستعملنا صالحين على طريق الصالحين . والحمد لله رب العالمين .

خالد النقشبندي[1]

١١٩٣ - ١٢٤٢ هـ
١٧٧٩ - ١٨٢٦ م

شيخ مشايخ الطريقة النقشبندية

أبو البهاء ضياء الدين خالد بن أحمد بن حسين الشهرزوري[2] السلفي الشافعي النقشبندي المجددي القادري السهروردي الكبروي الجشتي. سليل العارف بير ميكائيل المشهور بين الأكراد بشش انكشت، يعني صاحب الأصابع الست، وينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه. ويتصل نسب والدته بالعارف حضر المنسوب إلى السيدة فاطمة رضي الله عنها.

ولد سنة ١١٩٣ هـ في قصبة قرة طاغ من سنجق بابان على خمسة أميال من بلدة السليمانية، ونشأ فيها برعاية والده، وقرأ في مدارسها القرآن الكريم، والمحرر للإمام الرافعي، ومتن الزنجاني في الصرف، وشيئاً من النحو. وبرع في النظم والنثر وهو دون البلوغ. وجعل يدرب نفسه على الزهد والعفة منذ وقت مبكر.

ثم رحل إلى بعض نواحي بلاده لطلب العلم، فقرأ في السليمانية على الشيخ عبد الكريم البرزنجي وعلى المنلا محمد صالح، والمنلا إبراهيم البياري، والشيخ عبد الله الخرباني.

ثم سافر إلى جهات كوى وحرير، فقرأ شرح الجلال على تهذيب المنطق بحواشيه على المنلا عبد الرحيم الزيادي المعروف بمنلا زاده، وقرأ على غيره ثم رجع إلى السليمانية فقرأ فيها وفي نواحيها الشمسية والمطول والحكمة والكلام، ثم قدم بغداد فقرأ المنتهى في الأصول. وفي هذه الزيارة الأولى لبغداد اجتمع به

---

(١) بغية الواجد في مكتوبات حضرة مولانا خالد، الحدائق الوردية ٢٢٣، الحديقة الندية للبغدادي، سل الحسام الهندي لنصرة الشيخ خالد النقشبندي لابن عابدين. حصول الأنس في انتقال حضرة مولانا إلى حظيرة القدس. دفتر كتب خالد النقشبندي الموقوفة. أصفى الموارد في سلسلة أحوال الإمام خالد ١٧ - ٢٨. تعطير المشام (خ) ٢٦. حلية البشر ٥٧٠. فهرس الفهارس والأثبات ١/٣٧٣. جامع كرامات الأولياء ٢/٢. تاريخ السليمانية ٢٢٥ - ٢٢٩. منتخبات التواريخ لدمشق ٢/٦٥٢. معجم المطبوعات لسركيس ٨١٣ - ١٨٦٥. الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر ٢٠٨. أعيان دمشق ٩٤. الأعلام ٢/٢٩٤. معجم المؤلفين ٤/٩٥ والمستدرك عليه ٢٢٧. فهرس مخطوطات الظاهرية (التاريخ) ٢/٦٤٦

(٢) شهر زور: بلدة كبيرة مركز حكم كردستان، وفيها قال الشيخ خالد:

وعدتني أن تزوري كل شهر ... فزوري قد تقضى الشهر زوري

وهي بين أربل وهمذان، أنشأها زور بن الضحاك. ومعنى شهر بالفارسية أي مدينة (معجم البلدان).

كبار العلماء ورأوا علمه الزاخر وكان يومئذ يتعاطى التبغ، فكانوا إذا خرجوا من عنده بالغوا بمدحه وانتقدوه على التدخين، فلما بلغه ذلك دعاهم إلى طعام ثم بحث في الأصول وبيان الحلال والحرام والإباحة وأقام عليهم الحجة، وعندئذ أحضر أدوات التدخين فكسرها أمامهم.

رغب والي بابان الأمير إبراهيم باشا أن يعينه مدرساً في بعض المدارس ويخصص له الوظائف العلمية العالية فاعتذر.

ثم رحل إلى سنندج ونواحيها فقرأ فيها الحساب والهندسة والاصطرلاب والفلك على الشيخ محمد قسيم السنندجي وكمل عليه المادة كالعادة.

ثم ولي تدريس مدرسة أجلّ أشياخه الشيخ عبد الكريم البرزنجي بعد وفاته بطاعون السليمانية سنة ١٢١٣ هـ، وبقي فيها حتى سنة ١٢٢٠ حين جذبه الشوق إلى البيت الحرام وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، فخرج قاصداً الحج عن طريق الموصل وديار بكر والرها وحلب ودمشق.

وفي دمشق اجتمع بعلمائها كالشيخ محمد الكزبري سمع منه وأخذ عنه الأسانيد العالية والإجازات المسلسلة في ذهابه، وإيابه، واجتمع أيضاً بتلميذه الشيخ مصطفى الكردي فأجازه كشيخه بأشياء منها الطريقة القادرية.

ولما وصل المدينة المنورة مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصائد فارسية. ويحدث عن نفسه بذلك الوقت فيقول: «وكنت أفتش على أحد من الصالحين لأتبرك ببعض نصائحه لعلي أعمل بها كل حين، فلقيت شيخاً يمنياً متريضاً عالماً عاملاً صاحب استقامة وارتضاء، فاستنصحته استنصاح الجاهل المقصر من العالم المتبصر فنصحني بأمور منها: لا تبادر في مكة بالإنكار على ما ترى ظاهره يخالف الشريعة. فلما وصلت إلى الحرم وأنا مصر على العمل بتلك النصيحة البديعة بكرت يوم الجمعة إلى الحرم، لأكون كمن قرب بدنة من النعم فجلست إلى الكعبة الشريفة أقرأ الدلائل، إذ رأيت رجلاً ذا لحية سوداء عليه زي العوام قد أسند ظهره إلى الشاذروان[1] ووجه إليّ من غير حائل فحدثتني نفسي أنّ هذا الرجل لا يتأدب مع الكعبة ولم أظهر عيبه فقال لي: أما عرفت أن حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة الكعبة! فلماذا تعترض على استدباري الكعبة وتوجهي إليك؟ أما سمعت نصيحة من في المدينة وتأكيده عليك؟! فلم أشك في أنه من أكابر الأولياء وقد تستر بأمثال هذه الأطوار عن الخلق، فانكببت على يديه وسألته العفو، وأن يرشدني بدلالته إلى الحق فقال لي: فتوحك لا يكون في هذه

(١) الشاذروان: أسفل جدران الكعبة، مبنية بشكل مائل بين أرض الحرم المكي وجدران الكعبة

الديار. وأشار إلى الديار الهندية، وقال: تأتيك إشارة من هناك فيكون فتوحك في تلك الأقطار. فأيست من تحصيل شيخ في الحرمين يرشدني إلى المرام ورجعت بعد قضاء النسك إلى الشام».

وكان متشوقاً بعد رجوعه من الشام إلى مرشد من فحول الرجال، حتى جاء إلى السليمانية رجل هندي يسمى مُرْزار رحيم الله بيك المعروف بمحمد درويش العظيم آبادي أحد خلفاء الشيخ الدهلوي فاجتمع به، وعرض عليه مطلبه فقال له: «إنّ لي شيخاً كاملاً مرشداً عالماً عارفاً بمنازل السائرين إلى ملك الملوك خبيراً بدقائق الإرشاد والسلوك نقشبندي الطريقة محمدي الأخلاق علماً في علم الحقيقة، فسر معي حتى نرحل إلى خدمته في جيهان آبد، وقد سمعت منه إشارة بوصول مثلك ثمَّ إلى المراد» فرحل معه تاركاً مناصبه وبدأ رحلته الهندية سنة ١٢٢٤ هـ عن طريق الري وطهران وبعض بلاد إيران، واجتمع بأحد علمائها الشيخ إسماعيل الكاشي، ثم دخل بسطام وخرقان وسمنان ونيسابور وزار قبر أبي يزيد البسطامي ومدحه بقصيدة فارسية. ثم وصل طوس وزار بها الإمام علي الرضا ومدحه بقصيدة فارسية. ثم زار أحمد النامقي الجامي ومدحه بقصيدة فارسية.

ثم دخل هراة في أفغانستان واجتمع بعلمائها وأعجبوا به، ولما خرج ودعوه بالحفاوة وساروا معه أميالاً فمضى حتى ألم بقندهار وكابل وبشاور ولاهور. ومن هذه الأخيرة قصد قصبة فيها الشيخ ثناء الله شقيق الشيخ عبد الله الدهلوي المقصود فالتقى به وطلب منه الإمداد ببركة الدعاء، ولما بات عنده تلك الليلة رأى في المنام أن الشيخ عبد الله يجذبه إليه بأسنانه وهو لا ينجذب، فلما أصبح قال له الشيخ دون أن يقصّ عليه الرؤيا: سر على بركة الله إلى خدمة أخينا وسيدنا عبد الله وأشار إلى أن فتوحه سيكون هناك عنده.

تابع سفره حتى وصل إلى عاصمة الهند جهان آباد (دهلي) فالتقى بالشيخ الدهلوي بعد مسيرة سنة كاملة وقال عن نفسه في ذلك الوقت: «ولقد أدركتني نفحاته وإشاراته قبل وصولي بنحو أربعين مرحلة وهو قد أخبر قبل ذلك بعض خواصّ أصحابه بوفودي إلى أعتاب قبابه:

لا تنكر النفحات إن هي أسرعت	من مرشد هاد لقلب مريده
سرّ الشيوخ إذا سرت أنفاسه	شملت فؤاد قريبه وبعيده
لا يبلغ المجذوب غاية قصده	إن هام في تيه السلوك بيده
إلا إذا جذبت مولّه قلبه	نفحات أرباب الهدى من جيده

وفي ليلة دخوله مدينة دهلي أنشأ قصيدته العربية التي يذكر فيها سفره ويتخلص إلى مدح الشيخ ومطلعها:

كملت مسافة كعبة الآمال ... حمداً لمن قد منّ بالإكمال
وأراح مركبي الكليم من السرى ... ومن اعتوار الحطّ والترحال
وأزاح عني قيد حب مواطني ... وعلاقة الأحباب والأموال
وهموم أمهتي وحسرة إخوتي ... وغموم عم أو خبال الخال
وتشاحن الأقران في رتب العلا ... وملامة الحساد والعزّال
وأراحني من فرقة أفاكة ... وأجارني من أمة جهال

ومنها:

وأنالني أعلى المآرب والأما ... ني من لقاء المرشد المفضال
من نوّر الآفاق بعد ظلامها ... وهدى الخلائق بعد طول ضلال
هو يمٌّ فضلٍ طودُ طولٍ شامخ ... ينبوع كل فضيلة وخصال
نجم الهدى بدر الدجى شمس التقى ... كنز الفيوض خزانة الأحوال
كالأرض حلماً والجبال تمكناً ... والشمس ضوءاً والسماء معالي
عين الشريعة معدن العرفان والإحسان والإيقان والإفضال
قطب الطرائق قدوة الأوتاد بل ... غوث الخلائق رحلة الأبدال
شيخ الأنام وقبلة الإسلام صد ... ر للعظام ومرجع الإشكال
هاد إلى الأولى بهدي مختفٍ ... داع إلى المولى بصوت عال
محبوب رب العالمين من اقتدى ... بهداه أصبح قدوة الأمثال
كم من جهول كان مكبول الهوى ... نجاه من لحظ كحل عقال
كم من وليّ كامل من صدّه ... قد صدّ عنه عجائب الأحوال
كم منكر لجلاله عنه لوى ... فأذاقه المولى أشدّ نكال
معطى كمال جميع أهل نقيصة ... ومزيل نقص جميع أهل كمال
أخفاه رب العرش جل جلاله ... في قبة الإعزاز والإجلال
يا من بمكة حوله در طائفا ... واهجر حجازاً إن سمعت مقالي
ومبيت خيف دع وركض محسر ... ومنى منى والرمي للأميال
واسكن بذا الوادي المقدس خالعاً ... نعلي هوى الكونين باستعجال

حجر مقامك بالمقام بلا صفا | من طوف حضرة كعبة الآمال
ما السعي ملتزم لغير رضائه | ما الطوف إلا حوله بحلال
من شام لمعاً من بروق دياره | بمشام روض الشام كيف يبالي
آنست من تلقاء مدين مصره | ناراً تهيج البال بالبلبال
فهجرت أهلي قائلاً لهم امكثوا | أرجع إليكم غب الاستشعال
ونسويت هجران الأحبة كلهم | وركبت متن الأجرد الصهال
فطوى منازل في مسيرة منزل | واهاً لجار سائح شمسلال
فنسيت أصحابي على ميثاقهم | ومواعدي من فرط شوق جمال
من لي بتبليغ السلام لإخوتي | وببسط عذر العذر والإهمال
سلب الهوى لبي فما في خاطري | غير الحبيب وشوق طيف وصال
قد حان حين تشرّفي بوصاله | من لي بشكر عطية الإيصال
يا ربه لا أحصي ثناءك إنه | سفه علي من شم ريح زوال
والله لو أعطيت عمراً خالداً | وتركت غير الحمدْ كل فعال
وأتيح لي في كل منبت شعرة | ألف لسان في ألسوف مقال
وأميط عني النفس والشيطان كي | لا يلهيان بخطرة في البال
فصرفت عمري كله في حمده | بشراً شرى أبداً بلا إمهال
ما أقدرن على كفاء عطية | فضلاً عن التفصيل بالإجمال
أين العطايا وهي غير عديدة | كيف التشكر وهو بعض نوال
أم كيف أحمد ناظماً أو ناثراً | ذاتاً ترقت عن حضيض خيال
سلب التجوز وهو أبلغ في الثنا | مني تقدّسه عن الأمثال
إله الخلائق في نعوت كماله | سبحانه من خالق متعال
فالعجز نطقي والتحير فكرتي | ما ينبغي إلا السكوت بحال
فكما قضيتَ إلهنا في أشهر | طياً لبعد مسافة الأحوال
ووهبت إقداماً على طي الفلا | ونزول غور وارتقاء جبال
ورحمتنا بالحفظ من آفاتها | ومنحتنا أمناً من الأهوال
فارزق إله العالمين بحقه | أدباً يليق بذا الجناب العالي
وأمدّنا بلقائه وبقائه | وعطائه ونواله المتوالي
زد من حياتي في إطالة عمره | أدم الورى بحماه تحت ظلال
واجعلن مسعوداً بحسن قبوله | وامنحن ما يرضيه من أعمال

ثم مدحه بقصيدة فارسية طويلة أيضاً. وعند وصوله إليه أنفق كل ما لديه على مستحقيه. وأخذ عنه الطريقة النقشبندية بعمومها وخصوصها ومفهومها ومنصوصها، واشتغل في زاويته بالمجاهدة. وبعد خمسة أشهر. وقيل أحد عشر شهراً، شهد له شيخه بالوصول إلى كمال الولاية، وأجازه بالإرشاد والنفع، وخلّفه الخلافة العامة بالطرائق الخمس النقشبندية[1] والقادرية[2] والسهروردية[3] والكبروية[4] والجشتية[5] وأجازه بجميع ما تجوز له روايته من حديث وتفسير وتصوف وأوراد. واجتمع بإشارة منه بالعالم الصوفي المعمر الشيخ عبد العزيز الحنفي النقشبندي صاحب كتاب القول الجميل في سواء السبيل والتحفة الاثني عشرية فأجازه برواية كتب الصحاح الستة وبعض الأحزاب، وكتب له إجازة.

ثم أعاده شيخه إلى بلده ليرشد المريدين ويربي السالكين وشيعه بنفسه نحو أربعة أميال عن جهان آباد، فسار براً وبحراً خمسين يوماً تقريباً حتى خرج من بندر مسقط إلى نواحي شيراز ويزد وأصفهان ثم همدان وسنندج ووصل إلى السليمانية سنة ١٢٢٦ هـ، فاستقبله أعيان وطنه معززاً مكرماً.

وفي السنة نفسها رحل إلى بغداد فنزل في زاوية الشيخ عبد القادر الجيلي أيام وزارة سعيد باشا ابن سليمان باشا، وبقي يرشد الناس نحو خمسة أشهر ثم عاد إلى وطنه بشعار الصوفية.

وفي ذلك الوقت هاج عليه بعض معاصريه ومواطنيه ووشوا به عند حاكم كردستان فترك السليمانية سنة ١٢٢٨ هـ ورجع إلى بغداد، ونزل في المدرسة الأحشائية الأصفهانية فعمرها بالعلوم والأذكار.

وحدث حينئذ أن ألف فيه الشيخ معروف البرزنجي رسالة بعث بها إلى والي بغداد سعيد باشا يحرضه فيها على إهانته وإخراجه من بغداد وضلله فيها وكفره. ومما

---

(١) النقشبندية: نسبة إلى شاه نقشبند بهاء الدين محمد بن محمد الحسيني البخاري المعروف بنقشبند.
(٢) القادرية: نسبة إلى الشيخ عبد القادر بن موسى بن عبد الله الحسني الجيلاني أو الكيلاني المتوفى ببغداد سنة ٥٦١ هـ.
(٣) السهروردية: نسبة إلى الشيخ أبي النجيب ضياء الدين عبد القاهر بن عبد الله البكري البغدادي السهروردي.
(٤) الكبروية: نسبة إلى أبي الجنّاب نجم الدين أحمد بن عمر الخوارزمي.
(٥) الجشتية: نسبة إلى معين الدين محمد المتوفى سنة ٦٣٣ هـ، وطريقته منتشرة في الهند.

قال في رسالته أنّ الأكراد كلهم اتبعوه، وملأ ببدعته الآفاق، وأنه يدعي التصرف في الكائنات، ويدعي علم الغيب، وأنه ذهب إلى الهند فتعلم من السحرة الجوكية، ومن نصارى الإنكليز ديناً ظهر عندهم. ثم حرض الباشا على تمزيق طريقته وشعوذته إلى غير ذلك.

فانتدب الوالي للرد عليه مفتي الحلة الشيخ محمد أمين فألف رسالة مهرها علماء بغداد.

رجع بعد ذلك إلى السليمانية فبنى له أمير الأمراء محمود باشا بن عبد الرحمن باشا زاوية ومسجداً، وأوقف عليهما وقفاً ورتب للطلاب المواظبين فيها رواتب كافية. فأقبل المريدون عليه وطلبة العلم من مختلف البلاد، وانتفع به خلق كثيرون من الأكراد وأهل أربل وكركوك والموصل والعمادية والجزيرة وعينتاب وحلب والشام والروم والمدينة المنورة ومكة المكرمة والبصرة وبغداد.

مدحه وقتذاك أدباء عصره بالقصائد العربية والفارسية، وألف فيه الشيخ عثمان ابن سند النجدي البغدادي كتابه (أصفى الموارد من سلسال أحوال مولانا خالد) ووضع فيه الشيخ حسين الدوسري الأحسائي خليفته في بلاد الأحساء كتب (الأساور العسجدية في المآثر الخالدية).

رحل إلى بغداد بعد ذلك فنزل المدرسة الأحسائية أيضاً، وجددت له، فجعل ينشر العلم، وانقاد له العلماء وشاع فضله، وصار يرسل الخلفاء إلى البلدان المختلفة، فأرسل إلى الشام الشيخ عبد الرحمن العقري الكردي، ثم أرسل الشيخ أحمد الخطيب الأربيلي [1] الذي تلقى عنه الكثيرون الطريقة النقشبندية، ومنهم مفتي دمشق الشيخ حسين المرادي الذي كتب إلى الشيخ خالد يشير عليه بقدوم دمشق فانشرح صدره للرحلة إليها.

فلما أراد الرحيل إلى الشام سنة ١٢٣٨ هـ أقام مقامه على سجادة الإرشاد في السليمانية شقيقه الشيخ محمود الصاحب وكان خليفته، وفي الطويلة الشيخ عثمان سراج الدين، وفي بغداد الشيخ محمد الجديد، والشيخ موسى الجبوري، والشيخ عبد الغفور، وغيرهم. وكذلك في بقية بلاد العراق والأكراد. ثم خرج من بغداد وأبقى أهله فيها، وتبعه الناس أفواجاً فودعهم، وصحبه كثير من العلماء والخلفاء والمريدين ومنهم الشيخ عبيد الله الحيدري مفتي بغداد السابق، والشيخ إسماعيل الأناراني

(١) أقدم خلفائه في دمشق.

والشيخ عبد القادر الديملاني، والشيخ عيسى الكردي، والشيخ إسماعيل البرزنجي وملابكر، والشيخ محمد الفراقي، والشيخ عبد الفتاح العقري، والشيخ عبد الله الهراتي، والشيخ محمد الصالح، والشيخ محمد الناصح، والشيخ عمر، والسيد أحمد الكردي المكي، والشيخ إسماعيل الزلزلي وغيرهم.

وصل دمشق بموكبه الحافل في السنة المذكورة، واستقبله كثير من أهلها بالإعزاز والترحيب. كان نزوله أولاً في الجامع المعلق وهرع لزيارته العلماء والأمراء والحكام. ثم نزل في خلوة بني الغزي بالجامع الأموي، وتزوج بعد ذلك منهم شقيقة الشيخ إسماعيل الغزي السيدة عائشة، ثم أحضر أهله من بغداد. ثم اشترى داراً فخمة بحي القنوات جعل قسماً منها مسجداً.

أقام ينشر العلوم الشرعية، وأشاد دعائم الطريقة النقشبندية، وجعل يرشد السالكين ويربي المريدين، وصارت له منزلة عظيمة، ورحل إليه الأعلام من مختلف البلاد، وأرسل الرسل للأقطار حتى ذاع صيته وعم النواحي نفعه. أحيا كثيراً من مساجد دمشق بالأذكار، واختار جامع العداس القريب من داره مركزاً لمريديه وخلفائه وكان يصلي فيه الجمعة. وفوض أمر تربية المريدين فيه لخليفته الشيخ إسماعيل الأناراني، والشيخ أحمد الخطيب، كما هو الحال أيضاً في جامعي المعلق والياغوشية. وأذن للشيخ محمد الخاني في جامع المرادية المعروف بجامع السويقة (النقشبندي) بإقامة الذكر وختم الخراجكان، وأذن كذلك للشيخ عبد القادر الديملاني في جامع الصاحبة بالصالحية وقرأ هو بنفسه صباحاً في مدرسة داره بالقنوات شرح المنهاج للرملي، جامعاً بين أقوال الخطيب والرملي وابن حجر، وكان معيد درسه الشيخ عمر الغزي، ثم الشيخ محمد الخاني.

كان له في كل بلدة خلفاء ومريدون، وخصوصاً في الآستانة التي اشتهر فيها اسمه وأقيمت له فيها تكايا وزوايا. ورحل بموكبه إلى القدس الشريف، فزاره وزار مدينة الخليل. ثم في سنة ١٢٤١ هـ حج البيت الحرام.

وقع له في دمشق شبه ما وقع له في بغداد، ذلك أنه أرسل من أتباعه رجلاً يدعى عبد الوهاب السوسي لنشر الطريقة النقشبندية في الآستانة فاعتقده شيخ الإسلام وجمهور العلماء والوزراء فمالت نفسه إلى الدنيا والشهرة. ولما بلغ أمره إلى الشيخ خالد أحضره واستخلف غيره واستتابه فأظهر التوبة وأضمر المكر. ثم ما لبث الرجل أن أرسل إلى أتباعه في الآستانة مراسلات زائفة اطلع عليها الشيخ خالد الذي كتب عندئذ ثلاثة كتب إلى إخوانه هناك بحقيقته. ورحل عبد الوهاب إلى المدينة المنورة فاجتمع

فيها بأشخاص لفقوا معه أقوالاً على الشيخ وزعموا أنه يدعي رؤية الجان؛ وألفوا رسالة بتكفيره أرسلوها إلى دمشق مع أحد الأكراد العوام.

واطلع الشيخ على الرسالة فأمر بعبد الوهاب فشهر به في البلدة وعزّر ثم أمر به فأدخل عليه ووعظه وعفا عنه وأكرمه. وعندها ألف تلميذه الشيخ محمد أمين عابدين رسالة يرد فيها على المفترين سماها (سل الحسام الهندي لنصرة مولانا الشيخ خالد النقشبندي) ولكن الشيخ خالد توفي قبل استكمالها.

وضع الشيخ خالد مؤلفات عديدة منها:

شرح لطيف على مقامات الحريري (لم يتم).
- فرائد الفوائد (باللغة الفارسية. وهو شرح على حديث جبريل جمع فيه عقائد الإسلام).
- رسالة العقد الجوهري في الفرق بين كسب الماتريدي والأشعري.
- شرح على أطواق الذهب للزمخشري (مع ترجمته إلى الفارسية).
- رسالة في إثبات الرابطة.
- رسالة في آداب الذكر في الطريقة النقشبندية.
- رسالة في آداب المريد مع شيخه.
- شرح على العقائد العضدية.
- حاشية على الخيالي (في علم الكلام).
- حاشية على نهاية الرملي (إلى باب الجمعة).
- حاشية على جمع الفوائد من كتب الحديث. وصفها الخاني بقوله: تكتب بماء الذهب قد جردتها بخطي فجاءت مجلداً.
- جلاء الأكدار والسيف البتار بالصلاة على النبي المختار (فيها أسماء أهل بدر)[1].

وفي الظاهرية دفتر كتبه التي أمر بوقفها بعد وفاته وتقع في ١٤ ورقة (رقم ٢٥٩) وجمع رسائله ابن أخيه الشيخ أسعد الصاحب في كتاب سماه (بغية الواجد في

(١) طبعه الشيخ أبو الخير الميداني سنة ١٣٣٢هـ والطبعة الثانية، ثم طبعه ثالثة محمد رياض المالح سنة ١٣٨٧ هـ بدمشق.

مكتوبات حضرة مولانا خالد[1]. وأما نظمه فأكثره بالفارسية، اجتمع منه ديوان شعر.

وكتب حواشي عديدة على هوامش كتبه، تدل على تمكنه.

ومن أشهر مواعظه قوله لأتباعه: «اعلموا أن أحبكم إلي أقلكم أتباعاً وعلاقة بأهل الدنيا وأخفكم مؤونة وأشغلكم بالفقه والحديث، وقد ورد في بعض الأحاديث: «ما ازداد رجل من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً، ولا كثرت أتباعه إلا كثرت شياطينه، ولا كثر ماله إلا اشتد حسابه» وحينئذ لم يبق وجه للميل إلى تكثير السواد بهؤلاء إلا الطمع وحب الشهوة والجاه وأخذ الدنيا بالدين وجميع هذه النيات فسادها غني عن البيان. ا هـ.

وذكر في الحدائق الوردية عدداً كثيراً من كراماته.

علامة عظيم، لقبوه بمجدد القرن الثالث عشر. كان كريم النفس حميد الأخلاق، حلو المفاكهة والمحاضرة، رقيق الحاشية طلق اللسان، لم يحاب أحداً ولم يتردد إلى حاكم، لا تأخذه في الله لومة لائم. وكان إلى هذا ذا حافظة وذكاء وعبادة، لا يظهر إلا لدرس أو ذكر أو صلاة يبالغ في تعظيم آل البيت ومحبتهم.

قوي الحجة والمناقشة، ويحكى أنه أثناء وجوده أول مرة في بغداد أعجب به علماؤها أشد الإعجاب، لكنهم انتقدوه على التدخين فلما بلغه ما يقولون دعاهم إلى طعام وذاكرهم في مسألة: هل الأصل في الأشياء الحظر؟ أم هل الأصل فيها الإباحة؟ حتى توصل إلى بحث التدخين فما زال يناظرهم حتى ألزمهم القول بحله بالبرهان فلما سلموا قال لهم: «اشهدوا أني أبطلته. وإنما فعلت ذلك لئلا يمر في اعتقادكم أني ما تركته إلا لانتقادكم» ولم يعد إليه حياته.

وذكر البرهان إبراهيم فصيح البغدادي في (المجد التالد) أن محدث العراق النور علي السويدي البغدادي لما دخل المترجم لبغداد اختبره بقلبه لثلاثين إسناداً لثلاثين حديثاً من الكتب الستة، فرد المترجم عليه القلب، وأملى عليه الأحاديث بأسانيدها الأصلية، فأذعن المحدث المذكور. وذكر تلميذهما الشهاب الألوسي في كتابه (نزهة الألباب) أن السويدي المذكور قال للمترجم في ملأ عظيم: «بئس ما يفعله أكثر علماء الأكراد اليوم لاشتغالهم بالعلوم الفلسفية وهجرهم لعلوم الدين كالتفسير والحديث عكس ما يفعله علماء العرب» فقال له المترجم: «كلا الفريقين طالب بعلمه

---

(١) طبع بدمشق في مطبعة الترقي سنة ١٣٣٤ هـ.

الدنيا الدنية وطلبها بـ قال أرسطو أو قال أفلاطون خيرٌ من طلبها بـ قال الله وقال رسوله فإن الدني يطلب بدنيٍّ مثله» فسكت السويدي.

كان رجلاً طويل القامة، ضخم الرأس، أبيض اللون، أحمر الخدين، أسود الشعر والعينين، أقنى الأنف، مديد الحاجبين، طويل الذراعين، عريض ما بين المنكبين، كثير شعر الجسد، يلبس فاخر الثياب، لا يدع الطيلسان ولا العصا، وكانت عليه هيبة ووقار، تخالطه رحمة، لا يظهر لأحد إلا لدرس أو ذكر أو عبادة أو عيادة أو لزائر من أهل العلم، ولا سيما إن كان من المنسوبين، إذ كان يبالغ في تعظيم آل البيت.

صبر على كيد أعدائه كما صبر على مصائب الدنيا، فقد توفي له في الطاعون سنة ١٢٤٢ هـ ولدان نجيبان في الخامسة والسادسة من عمريهما، بهاء الدين وعبد الرحمن فاحتسبهما عند الله تعالى وكان هو المسلّي لمن جاء يعزيه.

وكان وعد قبل ظهور الطاعون في شوال أن يزور القدس مع إخوانه فلما ظهر الطاعون سألوه إنجاز الوعد، فقال: ما نحن فيه من مصابرة الطاعون خير ثواباً مما ترغبون. وقال ما جئنا إلى الشام إلا لنموت في هذه الأرض المقدسة. وهذه الشهادة إن تمت فهي السعادة الأبدية.

وبعد وفاة ولديه كأنما أحس بدنو أجله، فأحضر الشيخ إسماعيل الغزي شقيق حرمه، وأشهده أنه أقام خليفته من بعده على سجادة الإرشاد الشيخ إسماعيل الأناراتي، وبعده الشيخ محمد الناصح، وبعده الشيخ عبد الفتاح العقري، ثم أقامه هو من بعدهم. وأوصى بأملاكه التي في كردستان إلى أخيه الشيخ محمود الصاحب.

ثم جمع جميع خلفائه وأعاد عليهم الوصية، وأمرهم باتباع السنة والتمسك بالطريقة والاتفاق والاتحاد.

وجمع أهله ليلة الأربعاء ١١ ذي القعدة ١٢٤٢ هـ وأوصاهن واستبرأ ذمته من كل حق لهن عليه وبقين معه حتى مضت ساعات من الليل فقام وتوضأ وصلى ركعات ثم قال: «إني طعنت الآن فلا يدخل علي أحد إلا مرة» ثم اضطجع على هيئة السنة ولم يسمع منه تأوه ولا توجع.

وجاء لزيارته مساء الثلاثاء الشيخ محمد أمين عابدين فقال له إني رأيت في المنام منذ ليلتين أن سيدنا عثمان ذا النورين رضي الله عنه ميت وأنا واقف أصلي عليه فقال له أنا من أولاده يشير أن هذه الرؤيا تومىء إليه، ثم لما صلى المغرب أقبل على

خلفائه وأشهدهم أنه أوصى بثلث ماله، وأقام الشيخ إسماعيل الأناراني للإرشاد مقامه ومدحه بكلمات كثيرة.

ولما كانت صبيحة الخميس دخل عليه الخلفاء وسلموا وأشار إليهم أن يقلوا من الكلام. وبقي كذلك حتى ليلة الجمعة ١٤ ذي القعدة ١٢٤٢ هـ حين سمع مؤذن المغرب يقول الله أكبر ففتح عينيه وقال الله حق الله حق ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ ثم لحق بربه وسنه خمسون سنة سوى شهر ونصف.

حزن عليه الناس شديد الحزن، واضطرب خلفاؤه ومريدوه، واشتد عليهم أمره بعدما حملوه ليلتئذ إلى مدرسته وذلك بمباشرة كل من الشيخ إسماعيل والشيخ محمد الناصح والشيخ عبد الفتاح والشيخ محمد الصالح تنفيذاً لوصيته. وقرؤوا له القرآن الكريم والأذكار حتى مطلع الفجر. ثم خرجت جنازته حافلة إلى جامع يلبغا وحضر الناس للصلاة عليه أفواجاً فلم يسعهم المسجد وأمهم الشيخ محمد أمين عابدين بناء على وصيته. ثم ساروا به إلى سفح قاسيون فأعيدت الصلاة عليه ودفنوه هناك حيث كان أمر أن يحفر قبره وعيّن لهم محله ومحل قبور حرمه والخلفاء، وأمر أن يحوط عليها بجدار وصهريج ماء، وقال: أظنه سيبنى هنا تكية للفقراء. وأشهد أنه منذ سنتين وقف كل كتاب يخصه، ثم حرر الوقفية على ظهر القاموس[1].

وكان من جملة وصيته ألا يبكي عليه أحد ولا يعدد شمائله، وأنه محتاج إلى صدقة وقراءة الفاتحة وسورة الإخلاص، وأوصى أنه من أحب أن يذبح ويقدم لروحه أضحية فليفعل، وأن تقضى عنه جميع صلواته من بلوغه إلى يوم وفاته، وألا يبنى على ضريحه ولا يكتب عليه إلا (هذا قبر الغريب خالد). وعندما دفن نزل إلى لحده من غسله من الخلفاء ثم لقنه المنلا أبو بكر البغدادي أحد أجلاء أصحابه.

ورثاه تلميذه ابن عابدين بقصيدة أوردها في ذيل رسالة (سل الحسام الهندي) التي انتصر له فيها. وقال فيها:

أي ركن من الشريعة مالا	فرأيناه قد أمال الجبالا
مذ رزئنا بأوحد العصر علماً	وبهاءً وبهجةً وكمالا
واجتهاداً وطاعةً وصفاءً	وسخاءً وعفّةً ونوالا
هو بحر العلوم شرقاً وغرباً	ويميناً وقبلةً وشمالا

(١) انظر نص الوقفية في آخر الترجمة.

فإذا عنّ مشكل كلّ عنه ... كل شهم يحلّ عنه الشكالا
مذ تجلى سناه فينا أرانا ... كل بدر وقت الكمال هلالا
وسقى أهل عصره كأس قرب ... وحساهم منه الرحيق الزلالا
هو قطب عليه دارت رحى العر ... فان وهو الفريد قالاً وحالا
هو شيخ السلوك من نال هدياً ... من سناه فقد تزكى فعالا
ولعثمان ذي الحياء وذي النو ... رين أضحى انتسابه إجلالا
وبه ازدان ديننا وطريق ... النقشبندي زاد منه جمالا
ما رأينا كعلمه وتقاه ... ولجدواه ما رأينا مثالا
دمث الخلق لم يكدر صفاه ... جاهل رام منه شيئاً محالا
كثرت حاسدوه فازداد هدياً ... مذ أشاعوا الردى وزادوا ضلالا
ورموه بالإفك ظلماً وراموا ... ذله مذ رأوه فاق خصالا
فتغاضى عن القبيح وأبدى ... ما به زاد رفعة وجلالا
أيظن الحسود يطفىء نوراً ... قد أراد الإله أن يتلالا
دأبه نشر حكمة وعلوم ... كم به مبعد تقرب حالا
كعداد النجوم أتباعه في ... كل قطر به صفوا أعمالا
كم له من خليفة زاد قرباً ... وامتطى في التقى مقاماً تعالى
كم به مسجد أعيد سناه ... واكتسى من جماله سربالا
ولكم عال عاجزاً وفقيراً ... فقضى من نواله آمالا
ولكم شاد سنة قد تداعت ... وشفى باللسان داءً عضالا
ولكم حاز خصلة قد تسامت ... دونها النجم في علاه منالا
ومزايا إذا أردت عداد ... القل منها فلست تحصي الرمالا
قد أجاب الإله لما دعاه ... ولدار النعيم رام انتقالا
فبكته العيون دمعاً غزيراً ... فكأن العيون أضحت ثكالى
خالد القطب لم يزل فهداه ... خالد في الأنام ليس مزالا
فعليه من المهيمن رحمى ... كل حين على ثراه توالى
ما سرى في الضمير ذكر خفي ... وارتضاه سبحانه وتعالى

وشطر القصيدة الشيخ داود البغدادي وهي مذكورة في الرسالة نفسها.

ومما قاله ابن عابدين في رسالته: «لما فسد الزمان وتعاكس، وتقاعد عن الصلاح وتقاعس، لم يشتغل غالب أهله بخاصة نفسه، وبما ينفعه عند أفول شمسه،

وحلوله في رمسه، بل صار يطيل لسانه على أشرف أهل جنسه، بمجرد وهمه وحدسه، أو بمحض الزور والبهتان، لداء الحسد والطغيان، وغفل عن كون ذلك سبباً للدمار وخراب الديار، لما رموا صاحب الترجمة بالسحر والكهانة والجمود. . .».

ومدح كثيرون الشيخ خالد في حياته وبعد وفاته بقصائد فارسية وعربية مختلفة.

وحدث بعد وفاته بأيام أن ورد أمر السلطان بنفيه إلى بلاد الأكراد بناء على وشايات من حساد استطاعوا أن يؤثروا عليه فأمر الوالي بنقل أهله إلى بلادهم، فسافروا وبقوا هناك أعواماً إلى أن ورد الإذن بعودتهم فعادوا.

ثم سعى أحد خلفاء المترجم وهو الشيخ محمد الفراقي على استصدار أمر من السلطان عبد المجيد لإقامة تكية وقبة على ضريحه، وكان هو المشرف عليها (تربدار) وبقي كذلك حتى وفاته سنة ١٢٨٢ هـ فكان يطبخ الطعام للفقراء القاصدين والمريدين من أوقافها ومخصصاتها.

وكتب الشيخ خالد النقشبندي مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم يقول[1]:

إلى حضرة سيد الأنبياء والمرسلين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المعروض من العبد المذنب الظالم لنفسه المتناسي عما يجرى عليه في غده وما اقترفه في أمسه (خالد) إلى سدة مركز دائرة السعود، وسبب إيجاد كل موجود، وصاحب المقام المحمود، وينبوع الكرم والجود، سيد الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، قائد الغر المحجلين النبي الهاشمي الأبطحي اليثربي العربي القرشي، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليمات، عدد معلومات الله في كل بكرة وعشي - إن العبد الفقير المسكين والمجرم الحقير المستكين، لا زال يترقى في العثرات يوماً بعد يوم، ويحمل أوزار الرعايا والبرايا قوماً بعد قوم، فلا يوفق لترك الكل حتى يطوي البيد إلى هاتيك الحضرة العلية بالرأس دون الأقدام، ولا يؤيد لاتباع شريعتكم الغراء وإحياء سنتكم السنية البيضاء بالتمام، ولا يستعد لترك الظلم وبسط بساط العدل ليستريح بسببه الأنام، ويرضى عنه ربنا المهيمن العلام، ويسر به ذلك الجناب، عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام.

ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم

فواحسرتاه عَلَى ما فرطت في جنب الله ولا حول ولا قوة إلا بالله - فإلى من أشكو

---

(١) بغية الواجد ٦٨

سوء حالي سوى ذلك الجناب. ولدى مَنْ أبث ما أنا فيه من الاضطراب. وأنت خليفة الله على عباده، وهادي الأنام إلى سبيل سداده، ومغيث كل متحير وقائده إلى إرشاده، وغوث كل مضطر وموصله إلى مراده، - فالمرجو إما التخلص من هذه الورطات والتوجه مع الإخلاص إلى أرض الحجاز (ومن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) وإما الإمداد للعدل والإنصاف وخفض الجناح والانتصاف وترك البدع والاعتساف - وإلا فها أنا منكوس الرأس بين يدي ربي يوم القيامة، ومتيقن للندم حين لا تنفع الندامة، وصلى الله عليكم وعَلَى إخوانكم النبيين وعلى آلكم وصحبكم أجمعين بداء كل كلام وختام.

في عقيدة الشيخ خالد[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد الله تعالى وأشهد ملائكته وأنبيائه وأوليائه وجميع من حضر أو غاب روحانية وجسماً من الإنس والجن والملك مع سائر ما خلقه الله تعالى مما هو معلوم ومما لا يعلمه غيره، على أني أشهد شهادة جازمة متواطئاً فيها القلب واللسان، بأن الله الذي خلق العالم بعدما لم يكن، إله واحد واجب الوجود لذاته متصف بكل كمال، ومنزه عن كل نقص، متفرد باستحقاق العبودية على العالم، إذ هو مالكهم حقيقة لأنه الذي أوجدهم من العدم، ومنفرد بالألوهية والقدم والبقاء، وبالخلق والقدرة ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، وكذلك صفاته لا يقوم به حادث ولا يحل في شيء ولا يتحد بغيره، مقدس عن التجسم وتوابعه، وعن الجهات والأقطار، مرئي في الدارين بالقلوب، وفي الآخرة بالأبصار، كان ولم يكن معه شيء، لا بداية لوجوده، ثم أحدث العالم باختياره، ولم يحصل له بسببه كمال، ولم يتجدد له تعالى بإيجاده اسم ولا صفة، بل لم يزل بأسمائه وصفات ذاته، لا شبيه له في الذات والصفة والفعل، حي قيوم خالق كل شيء، علواً وسفلاً، براً وبحراً، جسماً وجوهراً وعرضاً، حتى أفعال العباد الاختيارية، عليم بكل شيء كذلك من الموجودات والمعدومات، ومن الكليات والجزئيات، عالم الغيب والشهادة بل لا غيب في حضرته، فالكل شهادة، يعلم خائنة الأعين وهواجس الضمير، كيف لا وهو خالقها ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ ولا مزية بشيء من إرادته في عالم الأرض والسموات لم تتعلق قدرته بشيء حتى أراده كما لم يرده حتى علمه، فما في الوجود شيء إلا وهو مراد ومقدور له تعالى، مريد لكل شيء كذلك قادر على كل شيء، كذلك سميع بكل شيء، كذلك

---

(1) بغية الواجد ٦٦

بصير بكل شيء، لا يخرج عن علمه مثقال ذرة من المعلومات، ولا يخرج عن سمعه ذرة من المسموعات، يسمع كلام النفس في النفس، وصوت المماسة الخفية عند اللمس، ولا يطلع عن إبصاره شيء من المبصرات، يرى سبحانه دبيب النملة السوداء. في الليلة الظلماء. على المسح الأسود، ويبصر أصغر الأشياء في سواد الدأداء. خلف ألف حجاب، سواء لديه الأقرب والأبعد. يتكلم لا عن صوت مقدم. أو سكوت متوهم. بكلام أزلي مقدس كسائر صفاته، كلم به موسى وأنزله على الرسل، وسماه قرآناً وزبوراً وإنجيلاً وتوراة وصحفاً، حياته ليست بالروح والجسد والأركان، وعلمه منزه عن التفكر وسبق الجهل وتطرق النسيان، وإرادته مقدسة عن الاضطراب وعن القلب والجنان، وقدرته مبرأة عن توسط الآلات وتأييد الأعوان وسمعه بريء عن توهم الأصمخة والآذان وبصره لا يتخيل له الحدقة والأجفان، وكلامه ليس من فم ولهاة ولسان، فسبحانه وتعالى، رب كريم عظيم السلطان، عميم الإحسان، جسيم الامتنان، وكل من صفاته لا تكثر فيه ـ وكثرة التعلقات لا توجد فيها كثرة، لا يقع شيء من غير إرادته، ولا يكون في ملكه إلا ما شاء من خير وشر، والكفر والمعصية بإرادته دون أمره ورضاه ومحبته، وإنه تعالى علم في الأزل جميع الوقائع الآتية من أفعال العباد، وغيرها، وما يجازون عليه وكتبها بأشخاصها وأحصاها فلا يجري شيء إلا على طبق ما سبق في علمه.

رسالة إلى خلفائه في استانبول لبيان معنى الرابطة النقشبندية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى من العبد الفقير المستهام خالد النقشبندي المتمسك باتباع سنة خير الأنام. عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام. إلى الإخوان المخلصين الكرام. من سكان دار الخلافة العظمى. لا زالت مصونة عن كيد الخائنين. ومقرونة بنصرة حاميها وحامي بلاد المسلمين إلى يوم الدين آمين.

السلام التام والتحية والإكرام، أما بعد: فقد وردت مكاتيبكم الدالةَ عَلَى صحة ذواتكم، فأورثت المسرة المشيرة إلى ثباتكم على الطريقة السنية السنيّة مع كثرة مزاحمة المنكرين، فحمدت الله تعالى على ذلك المرة بعد المرة. وقرع سمع هذا المسكين أن بعض الغافلين عن أسرار حق اليقين. يعدون الرابطة بدعة في الطريقة. ويزعمون أنها شيء ليس له أصل ولا حقيقة. كلا إنها أصل عظيم من أصول طريقتنا العلية النقشبندية، بل هي أعظم أسباب الوصول بعد التمسك التام بالكتاب العزيز

(١) بغية الواجد ٧٢

وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن جملة ساداتنا من كان يقتصر في السلوك والتسليك عليها، ومنهم من كان يأمر بغيرها أيضاً، مع تنصيصه على أنها أقرب الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدمة الفناء في الله تعالى، ومنهم من أثبتها بنص قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ فقال من ساداتنا الكبار الشيخ عبيد الله المشهور بخواجه أحرار قدس سره ما حاصله. أن الكينونة مع الصادقين المأمور بها في كلام رب العالمين هي الكون معهم صورة ومعنىً، ثم فسر الكينونة المعنوية بالرابطة، وهو عند أهله مشهور. وفي كتاب الرشحات بالتفصيل مسطور. فكأنهم لم يتصوروا معنى الرابطة اصطلاحاً، وإلاّ لما وسعهم إنكارها إذ هي في الطريقة عبارة عن استمداد المريد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله تعالى وكثرة رعاية صورته ليتأدب ويستفيض منه في الغيبة كالحضور ويتم له باستحضارها الحضور والنور. وينزجر بسببها عن سفاسف الأمور وهو أمر لا يتصور جحوده إلا ممن كتب الله تعالى في جبهته الخسران واتسم والعياذ بالله تعالى بالمقت والحرمان. لأنه إن كان ممن يعتقد بالأولياء فقد صرحوا بحسنها وعظم نفعها. بل اتفقوا عليها كما لا يخفى عَلَى من تتبع كلماتهم القدسية. واستنشق نفحاتهم الأنسية. وإلا فلا بد أن يعتقد بكلام أئمة الشرع. وأساطين الأصل والفرع، فقد قال بها من كل مذهب من المذاهب الأربعة أئمة تصريحاً وتلويحاً، وها أنا أسرد بعض ما ذكروه مع تعيين الأماكن ليراجعها من ليس في قلبه مرض. ولا ينكر على الأولياء بمجرد اتباع الهوى والغرض.

فأقول بالله التوفيق. وهو الهادي إلى سواء الطريق. فقد صرح بالتصرف والإمداد الروحانيين جماهير المفسرين في تفسير قوله تعالى ﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾ ومنهم صاحب الكشاف مع انحرافه عن الاعتدال. واتصافه بالإنكار والاعتزال ولفظه، وفسر البرهان بأنه أي يوسف عليه السلام سمع صوتاً. إياك وإياها. فلم يكترث له. فسمعه ثانياً فلم يعمل به، فسمع ثالثاً أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عليه السلام عاضاً عَلَى أنملته وقيل ضرب بيده على صدره إلى آخر ما قال.

وقال من الأئمة الحنفية الشيخ الإمام أكمل الدين في شرح المشارق في حديث «من رآني إلخ» الاجتماع بالشخص يقظة ومناماً لحصول ما به الاتحاد له خمسة أصول كلية (الاشتراك في الذات) أو في صفة فصاعداً، أو في حال فصاعداً، أو في الأفعال أو في المراتب، وكل ما يتعقل من المناسبة بين شيئين أو أشياء لا يخرج عن هذه الخمسة وبحسب قوته عَلَى ما به الاختلاف وضعفه يكثر الاجتماع ويقل. وقد يقوى

على ضده فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان. وقد يكون بالعكس ومن حصل الأصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل الماضين أجتمع بهم متى شاء انتهى.

وقال منهم محشي الأشباه الشريف أحمد بن محمد الحموي في كتابه (نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامة بعد الانتقال) ما خلاصته: أن الأولياء يظهرون في صور متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم، وحمل على هذا المعنى ما في بعض روايات الحديث الصحيح، قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ينادى من كل باب من أبواب الجنة بعض أهل الجنة) فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه وهل يدخل أحد من تلك الأبواب كلها. قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم».

وقالوا إن الروح إذا كانت كلية قد تظهر في سبعين ألف صورة هذا في دار الدنيا وفي البرزخ من باب أولى، لأن الروح فيه أغلب وأشد استقلالاً بسبب المفارقة عن البدن انتهى.

ومن الأئمة الشافعية الإمام الغزالي في الإحياء في باب تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن من الصلاة ما نصه: وأحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم، وقل السلام عليك أيها النبي وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه. انتهى.

وقال منهم العلامة الشهاب أحمد بن حجر المكي شيخ شيخ الشهاب الخفاجي في (شرح العباب في بيان معاني كلمات التشهد) ما نصه وخوطب صلى الله تعالى عليه وسلم كأنه إشارة إلى أنه تعالى يكشف له عن المصلين من أمته حتى يكون كالحاضر معهم ليشهد لهم بأفضل أعمالهم، وليكون تذكر حضوره سبباً لمزيد الخشوع والخضوع، ثم أيده بما مر عن الإحياء، ولشيخ الشيوخ الإمام العارف السهروردي الشافعي في (عوارف المعارف) في باب (صلاة أهل القرب) مثله، ومن عباراته ويسلم عَلَى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويمثله بين عيني قلبه انتهى.

وصرح العلامة الشهاب ابن حجر في أواخر (شرح الشمائل) وفاقاً للحافظ الجلال السيوطي في كتابه (تنوير الحلك في رؤية النبي والملك) أنه حكى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في النوم فدخل على بعض أمهات المؤمنين فأخرجت له مرآة النبي صلى الله عليه وسلم فنظرفيها فرأى صورة النبي ولم يرَ صورة نفسه. انتهى.

وهذا هو الفناء في الرابطة في اصطلاح القوم لا يقال ليس الكلام في صورة النبي لأنا نقول إن هذا ليس من خصائص الأنبياء وكل ما هو كذلك فهو مشترك بينهم وبين الأولياء ولا شك في هذا عند أهله نعم مخاطبة غيره صلى الله عليه وسلم في الصلاة مبطلة لها وإحضار الصورة فيها والتسليم عَلَى صاحبها من خصائص حضرة روح الوجود وصاحب المقام المحمود عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والتسليم من الكريم الودود. وهو غير مراد فيما نحن فيه.

هذا وقال منهم الحافظ الجلال السيوطي في رسالة حافلة ألفها في مثل هذه المادة سماها كتاب (المنجلي في تطور الولي) نقلاً عن الإمام السبكي الشافعي في (الطبقات الكبرى) الكرامات أنواع إلى أن قال الثاني والعشرون التطور بأطوار مختلفة، وهو الذي تسميه الصوفية بعالم المثال، وبنوا عليه تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال، واستأنسوا له بقوله تعالى ﴿فتمثل لها بشراً سوياً﴾ ومنه قضية قضيب البان، ثم ذكرها وذكر غيرها. انتهى.

وقال منهم الإمام العارف الشعراني قدس سره في كتاب (النفحات القدسية) عند عد آداب الذكر ما نصه: السابع أن يخيل شخص شيخه بين عينيه، وهذا عندهم آكد الآداب. انتهى بحروفه.

قلت: وليست الرابطة عندنا معاشر النقشبندية إلا هذا كما يشهد له ما في جميع كتبهم المعتمدة، وذكر العلامة السفيري الحلبي من الشافعية في (شرح البخاري) عند قوله (ثم حبب إليه الخلاء أن الشيطان كما لا يقدر أن يتمثل بصورة النبي صلى الله عليه وسلم لا يقدر أن يتمثل بصورة الولي الكامل أيضاً، بشرط ذكره ثمة، وقال من أكابر الحنفية أيضاً العلامة الشريف الجرجاني قدس سره في أواخر شرح المواقف قبيل ذكر الفرق الإسلامية وفي أوائل حواشيه على شرح المطالع بصحة ظهور صور الأولياء للمريدين حتى بعد التوفي وأخذهم الفيوض منها.

وقال منهم أيضاً الإمام العارف بالله تعالى الشيخ تاج الدين الحنفي النقشبندي العثماني قدس سره عند بيان طرق الوصول إلى الله تعالى في رسالته المعروفة (بالتاجية) ما نصه الطريقة الثالثة الربط بالشيخ الذي وصل إلى مقام المشاهدة وتحقق بالصفات الذاتية فإن رؤيته بمقتضى (هم الذين إذا رؤوا ذكر الله) تفيد فائدة الذكر. وصحبته بموجب (هم جلساء الله تعالى) تنتج صحبة المذكور إلى أن قال فينبغي أن تحفظ صورته في الخيال وتتوجه إلى القلب الصنوبري، حتى تحصل الغيبة والفناء عن

النفس، وإن وقفت عن الترقي فينبغي أن تجعل صورة الشيخ على كتفك الأيمن وتفرض من كتفك إلى قلبك أمراً ممتداً، وتأتي بالشيخ المذكور على ذلك الأمر الممتد وتجعله في قلبك، فإنه يرجى لك بذلك حصول الغيبة والفناء، انتهى بحروفه وجرى عليه قدوة المحققين وزبدة المتأخرين الشيخ العارف عبد الغني النابلسي الحنفي قدس سره وأقره في شرحه على (التاجية) المسمى (بمفتاح المعية).

وقال من أئمة الحنابلة الغوث الأعظم والإمام الأفخم سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره، ما معناه: إن للفقير (أي: السالك) طريق القوم رابطة قلبية مع الأولياء، ويستفيد منهم بسبب تلك الرابطة باطناً، فلا بأس بعدم إكرامه ظاهراً بخلاف الأجنبي الذي ليس له رابطة معهم. انتهى. نقلاً عن الإمام السهروردي في باب (آداب المريد مع شيخه من عوارفه).

وقال منهم أيضاً العلامة شمس الدين ابن القيم (في كتاب الروح) للروح شأن آخر غير شأن البدن فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة ببدن الميت بحيث إذا سلم عَلَى صاحبها ترد السلام وهي في مكانها هناك. انتهى نقلاً عن الحافظ السيوطي في كتاب (المنجلي).

قلت: والنصوص بهذا المعنى أكثر من أن تحصى، وفيه دلالة ظاهرة على نوع تصرف للأولياء بعد الموت. وقد ألف كثير من المحققين في ذلك. رسائل واضحة المسالك فليحذر الموفق عن إنكاره فإنه من المهالك.

وقال من الأئمة المالكية الإمام الجليل صاحب المختصر المشهور الشيخ خليل رحمه الله تعالى ما نصه الولي إذا تحقق في ولايته تمكن من التصور في روحانيته، ويعطي من القدرة التصور في صور عديدة وليس ذلك بمحال، لأن المتعدد هو الصورة الروحانية، وقد اشتهر ذلك عند العارفين بالله، نقله الحافظ السيوطي عنه في الكتاب المذكور، ونقل فيه أيضاً عن الإمامين الهمامين من المالكية الشيخ أبي العباس المرسي وتلميذه ابن عطاء الله السكندري قدس سرهما ما يقاربه.

فكيف يسوغ للعوام إنكار مثل هذه الأحكام بعد تصريح الأولياء الكرام والعلماء الأعلام الذين هم أهل الحل والإبرام، ومنهم من يتلقى العلوم اللدنية بلا واسطة من الحي الذي لا ينام. واقتصرت عَلَى هذا القدر من الكلام خوفاً من الإملال والإسآم وإلا لألفت فيه مجلداً حافلاً بعون الملك المنعام. ولولا رعاية الشفقة عَلَى الإخوان في الدين من وقوعهم في إنكار طور الأولياء الكاملين لما أقدمت على إظهار بعض هذه

الأسرار لكن ألجأني إليه أمران (الأمر الأول) الذب عن الطريقة التي هي عروة الوصول وسلم رضوان الله تعالى واتباع الرسول التي أصولها التمسك بعقائد أهل السنة الذين هم الفرقة الناجية، وترك التقاط الرخص، والأخذ بالعزائم ودوام المراقبة والإقبال على المولى، والإعراض عن زخارف الدنيا، بل وعن كل ما سوى الله تعالى، وملكة الحضور المعبر عنه في الحديث الشريف بالإحسان وهو «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» والخلوة في الجلوة، مع التحلي بالاستفادة والإفادة في علوم الدين، والتزيي بزي عوام المؤمنين، وإخفاء الذكر وحفظ الأنفاس، بحيث لا يخرج ولا يدخل نفس مع الغفلة عن الله الكريم، والتخلق بأخلاق صاحب الخلق العظيم عليه الصلاة والتسليم.

وبالجملة فهذه الطريقة بعينها هي طريقة الأصحاب الأنجاب عليهم الرضوان، من غير زيادة ولا نقصان، وهي عبارة عن الأخذ بعزائم الكتاب والسنة، ولهذا قال إمام الطريقة وغوث الخليفة الشيخ بهاء الحق والحقيقة والدين السيد محمد البخاري المعروف بشاه نقشبند قدس سره ما معناه: من أعرض عن طريقتنا فهو في خطر من دينه. (والأمر الثاني) التحذير عن تمويه الغافلين وتزويرهم لئلا يؤدي إلى إنكار هذه الطائفة وتكديرهم، ويسري من شؤمه والعياذ شيء إلى باب لا يزال الفقراء الصادقون متضرعين إلى الله تعالى لتأييده وبقائه وحفظه من فتن الحساد ومكائد أعدائه، وهذا الفقير يوصيكم بجميع ما تقدم من الآداب، ويخبركم بأنه يبرأ إلى الله تعالى من كل من يخالف الكتاب والسنة، ولم يتبع هدي النبي والأصحاب، ويأمركم بصالح الدعاء في الصباح والمساء، لدوام تأييد الدولة العلية العثمانية التي عليها مدار الإسلام ونصرتها على أعداء الدين والمرتدين اللئام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته في البدء والختام.

وكتب في آداب الذكر للمريدين، وعلى هذه الرسالة يعوّل النقشبنديون[1].

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين

الحمد لله وكفى وسلام عَلَى عباده الذين اصطفى، أما بعد: فهذه فائدة في بيان نبذة من آداب الذكر وغيره عند السادة السنية، قادتنا النقشبندية، قدس الله أسرارهم العلية.

اعلم أن آداب الذكر الأول أعني اسم الذات بالقلب أن يجلس الذاكر على

---

(١) بغية الواجد ١٤٥

ركبتيه متوركاً بعكس تورك الصلاة، بأن يخرج قدم الرجل اليمنى من تحت ساق الرجل اليسرى ويعتمد على وركه الأيمن متوضئاً مستقبلاً للقبلة. ويقول بلسانه: أستغفر الله إما خمساً أو خمس عشرة أو خمساً وعشرين. ويغمض عينيه لاصقاً الأسنان بالأسنان والشفة بالشفة واللسان باللهاة، (أعني سقف الفم) موجهاً جميع حواسه إلى القلب، مدققاً النظر الخيالي بالنفوذ إليه، منطلق النفس على حاله. ثم يخطر بقلبه أنه مذنب مقصر غير قابل لشيء خال من الأعمال الصالحة، بحيث ييأس من أعماله، ويتكل على الله، ويعول عَلَى فضله. ثم يلاحظ الموت وأحواله، والقبر وأهواله، وكأن الموت قد دخل به الآن، وأن هذا آخر أنفاسه من الدنيا ثم يقرأ فاتحة الكتاب مرة والإخلاص ثلاث مرات بلسانه، ويهدي مثل ثوابها إلى حضرة إمام الطريقة وغوث الخليقة ذي الفيض الجاوي والنور الساري الخوجة بهاء الدين نقشبند الشيخ محمد الأويسي البخاري قدس سره العزيز ويستمد بالقلب منه. ثم يقرر صورة حضرة مولانا الشيخ قدس سره العزيز بين حاجبيه أعني الناصية، ويعمق النظر من ناصيته إلى ناصية الشيخ قدس سره ويستمد في القلب منه، وهذا التقرير والتصوير يسمى رابطة. ثم يطرح الصورة بالخيال في وسط قلبه، ؛ ويدعها ويجمع كل حواسه إلى القلب، ويتصور بفراغ البال فيه معنى اسم الجلالة ومدلول كلمة (الله)، وهو ذات بلا مثل، الذي يفهم من الاسم الأقدس، ويجعل قلبه مملوءاً بتذكر المعنى المدلول. وهذا الجعل يسمى (وقوفاً قلبياً)، ولا بد من وجوده في جميع أوقات الذكر وفي خارجها ما يتيسر وهو الركن الأتم للذكر والمحطة لفائدته. ثم مع الوقوف يقول بلسان القلب (اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) ثم يشرع في ذكر الله تعالى بالقلب، لكن مع الوقوف القلبي المذكور وتفريغ القلب من الخطرات، مهما أمكن وبين كل مئة أو أقل يكرر قوله اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي. وإذا حصلت للذاكر غيبة وذهول عن الدنيا، وتعطلت حواسه، ومع بقاء قليل شعور بنفسه، يترك الذكر، ويبقى تابعاً لتلك الكيفية مستغرقاً في الوقوف القلبي منتظراً لوارد الورد، ومستحضراً قلبه لنزول الفيض، إذ قد تفيض عليه تلك المدة اليسيرة أمور غزيرة وإن لم يدركها. ثم إن شاء بها بفتح عينيه ويوصف لنفسه وقتاً قدر ساعة أو أقل بعد العصر يشتغل فيه بالرابطة مع الوقوف القلبي من غير ذكر، وإذا ارتسخ الذكر بحيث لو تكلف الذاكر بإحضار الغير لم يخطر ـ انتقل ذكره إلى الروح وهي لطيفة تحت الثدي الأيمن. ثم إلى السر وهو في يسار الصدر فوق القلب. ثم إلى الخفي وهو في يمينه فوق الروح. ثم إلى الأخفى وهو في وسط الصدر. وهذه اللطائف الخمس من عالم

الأمر الذي خلقه الله تعالى بأمر (كن) من غير مادة، وركبها مع لطائف عالم الخلق الذي خلقه الله تعالى من مادة هي النفس الناطقة والعناصر الأربعة. ثم إلى هذه النفس وهي في الدماغ والعناصر الأربعة تتدرج فيها وكل من هذه المحال محل ذكر على الترتيب، وكذلك الرسوخ لما بعد القلب من اللطائف عَلَى الترتيب المذكور. فإذا ارتسخ الذكر في لطيفة النفس حصل سلطان الذكر. وهو أن يعم الذكر عَلَى جميع بدن الإنسان بل على جميع الآفاق.

(وأما الذكر الثاني) المسمى بالنفي والإثبات بكلمة (لا إله إلا الله) الملقن للمريد بعد اللطائف (فكيفية آدابه) أن يلتصق اللسان كالأول، ويحبس النفس تحت السرة ويتخيل منها (لا) إلى منتهى الدماغ. ومنه (إله) إلى كتفه الأيمن. ومنه (إلا الله) إلى القلب الصنوبري الشكل وهو المضغة التي في الجانب الأيسر تحت أصغر عظم من عظام الجنب. ضارباً عليه منفذاً إلى قعره بقوة يتأثر بحرارته جميع البدن. وينفي بشق النفي وجود جميع المحدثات وينظرها بنظر الفناء. ويثبت بشق الإثبات ذات الحق سبحانه وتعالى ناظراً إليه بنظر البقاء فيحيط عَلَى محال اللطائف ويلاحظ الخط الحاصل من الانتقالات ومعناها (أي الكلمة الطيبة) من نفي المعبودية، لأن كل معبود مقصود ولا عكس. ويقول في آخرها بالقلب (محمد رسول الله) ويريد به التقيد بالاتباع ويكررها عَلَى قدر قوة النفس. ويطلقه من الفم على الوتر المعروف عندهم بالوقوف العددي. ويقول بقلبه أيضاً قبل إطلاق كل نفس (اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي). فإذا استراح يشرع في نفس آخر لكن يراعي ما بين النفسين بأن لا يغفل فيه بل يبقى التخيل عَلَى حاله لئلا يختل الاستمرار. فإذا انتهى العدد إلى أحد وعشرين تظهر النتيجة وهي النسبة المعهودة من الذهول والاستهلاك. وإن لم تظهر فمما وقع من الإخلال في الآداب فليستأنف. وليطابق الفعل القول مضمون الذكر عملاً واعتقاداً واتباعاً، فإن المقصودية به فيما سواه إذا كانت باقية أو خلاف الاتباع في شيء كان ثابتاً في الواقع لزم الكذب فليس بصادق. ولا حصر في العدد ـ فمن يستعد لتقدم الجذبة فله (الذكر الأول) ومن يستعد لتقدم السلوك فله (الذكر الثاني) وكلاهما بالقلب. فإذا جاهد فيه حق الجهاد وانتفى المنفي وثبت المثبت وظهرت النتيجة تصح له المراقبة حينئذٍ.

وأما الآداب خارج الذكر فدوام الوضوء وصلاة سنة الوضوء والإشراق والاستخارة والضحى والأوابين والتهجد وملازمة الجماعة والرواتب، وإحياء ما

بين العشائين بالذكر. فإن ضم ذلك إلى ما بعد العصر واشتغل بالذكر والرابطة كان أتم وأكمل والعمل في ذلك كله مهم، وعليه (أي المريد السالك) باتباع الكتاب والسنة وإماتة البدعة. والمكتسب الغير المجرد لا ينقص ورده عن خمسة آلاف في اليوم والليلة، وما زاد فهو أتم. والمجرد يطلب منه الإكثار على ذلك العدد واستغراق أوقاته في الاشتغال بها مهما أمكن. والاعتزال عن غير المعتقدين بالطريقة مهما حصل يكون أحسن إذ مخالطة المنكرين على أهل الباطن تورث قسوة في القلب عَلَى قدرها.

وأما الآداب في حل المأكول أن لا يكون منفوساً ولا معمولاً بيد تارك الصلاة ومنكر عَلَى الطريقة ولا بيد جنب. بل بيد مصل متطهر بل عَلَى وضوء. وأكثر هذه الآداب المتعلقة بالمأكول أحسنية، وكذا سائر العبادات والعادات، يراعي المريد فيهما الشريعة كل على مذهب من المذاهب الأربعة، حسبما استطاع مع اتباع السنة ملاحظاً نفسه بعين الانكسار والتضرع والإنابة مطلقاً. ورابطاً قلبه بقلب شيخه أينما كان متأدباً معه في الحضور والغيبة والله الموفق، وهو ولي التوفيق، وصلى الله عَلَى سيدنا محمد وَعَلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام عَلَى المرسلين والحمد لله رب العالمين.

«رسالة في تحقيق مسألة الإرادة الجزئية الموسومة بالعقد الجوهري»
في الفرق بين كسبي الماتريدي والأشعري[1]
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والأرض وخالق العباد وما يعملون، الذي إذا أراد شيئاً ﴿إنما يقول له كن فيكون﴾ والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خير أهل الوبر والمدر، وَعَلى آله وصحبه هداة طريقته الوسطى بين الجبر والقدر (أما بعد) فاعلم أرشدك الله تعالى أن أهل القبلة أطبقوا قاطبةً بل الفلاسفة وأكثر المليين أيضاً على أنه لا مؤثر فيما سوى أفعال الحيوانات من الموجودات إلا الله الواحد تبارك وتعالى، وأفعال الحيوانات منها الطبيعيات ولا خلاف في مخلوقيتها له تعالى أيضاً سواء كانت من الأفعال المشعور بها كالمرض والصحة والنوم واليقظة. أو من غير المشعور بها كالنمو وهضم الطعام. ومنها الاختياريات. وإنما

(١) بغية الواجد ٨٨

النزاع فيها فقط. فذهبت الجبرية إلى أنها بقدرة الله تعالى بلا قدرة من العبد. والأشعري إلى أنها بهما بلا تأثير من قدرة العبد. والمعتزلة إلى أنها بقدرة العبد فقط بالاختيار. والفلاسفة إلى أنها بقدرته بالإيجاب. ونسبة هذا إلى إمام الحرمين سهو كما أفاده العارف السنوسي تصريحاً. والسعد في (شرح المقاصد) تلويحاً وذهب أبو إسحاق الإسفرائيني إلى أنها بمجموع القدرتين عَلَى أن تؤثر في أصل الفعل. والقاضي إلى أنها بهما، على أن تأثير القدرة القديمة في أصل الفعل وتأثير الحادثة في وصفه ككونه طاعة أو معصية. وهذا المذهب عين مذهب الماتريدية كما أفاده المحققان ابن الهمام في (متن المسايرة) وابن أبي شريف في (شرحها) والمولى حسن جلبي في حاشية (شرح المواقف). وصرح به المدقق الكلنبوي في حاشية (العقائد الدوانية) وفي تعليقاته على السيالكوتي الواقع على الخيالي.

فلا تعويل على قول من جذب مذهبهم إلى شوب الاعتزال كما سيجيء ولا إلى قول الأستاذ كما توهمه بعض الأمجاد. ولما لم يتعلق الغرض ببيان تشعب فرق الاعتزال بالنسبة إلى المباشرة والتوليد في الأفعال وكون قدرة العبد مؤثرة عند بعضهم بمجرد الرجحان الناشئ عن اجتماع الشروط وتعلق الإرادة الحادثة بناء عَلَى الفرق بين القديم، وبينها بالإيجاب وعدمه. فيمتازون عن الفلاسفة بكون العبد مختاراً في فعله عندهم وغير مؤثرة عند بعض آخر منهم إلا بالبلوغ إلى حد الوجوب. بناء عَلَى أن الإرادة الحادثة موجبة للمراد كالقديمة. فتكون مذاهبهم عين مذهب الفلاسفة في الفعل وإن امتازوا عنهم بالاختيار في المبادئ. وكون الحوادث في ظاهر مذهب الفلاسفة منسوبة إلى الوسائط فينسبون الفعل إلى قدرة العبد كما مر وفاقاً للمواقف والخيالي. وفي تحقيقه منسوبة إلى المبدأ الفياض ولا تفيد الوسائط إلا إتمام الاستعداد كما هو مقرر في محله، فينسبونه إلى القدرة القديمة كما في (شرح الجلال) خلافاً للغزالي. وبهذا التفصيل تطبق المناقضة بحسب الظاهر بين الأقوال في هذا المقام كما لا يخفى عَلَى الفطن.

وأيضاً لما كان الفرق بين قدرة العبد عند الأشعري. وقدرته عند الماتريدي وكسبيه عندهما في غاية الغموض حتى قال بعض من أدركته من أكابر العلماء إنه فتش الكتب في طول عمره فما وجد بينها فرقاً. فاحتاج إلى القول بأنهما بمعنى واحد. واضطر بعضهم إلى القول بأن مدخلية القدرة بالسببية الحقيقية عند القاضي وهماً كما ترى، ورأيت تآليف متعددة في هذه المسألة فما وجدت أحداً حام حول تحقيقها. مع أن عدم الفرق بين القدرتين والكسبين يقتضي كون

المذهبين واحداً. ومغايرتهما في هذه المسألة أظهر من أن تنكر. وأشهر من أن تستر. ولهذا شاع في جميع البلدان والبقاع أن القدرة مؤثرة عند الماتريدي دون الأشعري. حتى طعن فيه طوائف بأن مذهبه جبر محض. ولا فرق بين نفي القدرة وإثباتها بلا تأثير. مع أن بداهة الفرق بين حركتي المرتعش والمختار جزء دليل إثبات مذهبه كما يأتي (حداني هذا والتماس بعض الأحبة مني أن أكتب ما من الله تعالى به عليّ في تحقيق هذين الفرقين، وما يتعلق بهما معرضاً عن استيعاب الأقاويل، والاسترسال مع القال والقيل، فأقول وبالله التوفيق).

العزم المصمم الذي هو التوجه الصادق نحو الفعل الصادر عن العبد بقدرته عند الماتريدية وهو المسمى عندهم بالكسب. ويقال له الإرادة الجزئية. والقصد الجزئي أيضاً لتعلقه بمطلوب معين وهو من الأمور اللا موجودة واللا معدومة. المسماة بالأحوال عند صدر الشريعة. ومن الأمور الاعتبارية المعدومة في الخارج عند الأكثرين. واضطرب فيه كلام بعضهم في تفسير البسملة الشريفة فقال تارة بموجوديته عندهم. وأخرى بمعدوميته. وتارة بكونه من الأحوال. وصرح المحقق ابن الهمام في المسايرة بأنه أمر موجود وأثر لقدرة العبد إذا خلق الله تعالى له جميع ما يتوقف عليه فعله من القدرة والإرادة والآلات والشروط. يوجد العبد بقدرته ذلك العزم المصمم بإعانة الله تعالى. وإذا أوجده خلق الله تعالى له فعله عقبه انتهى ملخصاً.

ويلزمه مخالفة إجماع السلف قبل ظهور البدع والأهواء. عَلَى أن لا مؤثر في الوجود إلا الله تبارك وتعالى كما صرح به غير واحد منهم إمام الحرمين في (الإرشاد على ما في شرح المقاصد وشرح الجلال الدواني).

ويلزمه أيضاً موافقة المعتزلة في كون العبد موجداً لبعض الأشياء وخلاف العقليات. وتخصيص النقليات الدالة عَلَى استناد كل شيء إليه تعالى ابتداءً والجاء إلى هذا. ظن عدم النجاة من الجبر إلا به. وأن الكسب لا يفهم منه لغة إلا التحصيل. ولا معنى لتحصيل الفعل المعدوم سوى إيجاده.

والجواب منع كل ما في كلامه من الحصر، أما (الأول) فسيظهر مما سأحرره لك إن شاء الله تعالى من تحقق الاختيار في المذهبين مع التنزه عن نسبة الإيجاد إلى العبد. وأما (الأخيران) فلجواز أن يراد بالكسب لغة صرف القدرة نحو المقدور الذي هو شرط عادي لخلق الباري تعالى الفعل بعده، ولجواز تسمية العبد محصلاً، والفعل المخلوق فيه تحصيلاً للمحلية والتسبب العادي

للفعل. وهو في اللغة أكثر من أن يحصى. كقولهم البحر مغرقة والنار محرقة. والشريعة عربية. ولئن فرضنا صحة ذلك فلا نسلمه لغة في الاصطلاح (وقد صرح حجة الإسلام في الاقتصاد كما نقله عنه ابن أبي شريف) بأن تسمية مقارنة القدرة والإرادة الحادثتين كسباً وضع اصطلاحي لما وجدوا إطلاق الكسب في القرآن على أعمال العباد اصطلحوا عليه تيمناً بكتاب الله تعالى. فكيف يكون للمناقشة فيه مجال. ومنه يعلم جواب ما استشكله السعد في شرح العقائد ولم يأت في حله بشيء ينفع المناظرة. من أنه لا معنى لكون العبد فاعلاً مختاراً إلا كونه موجداً بالإرادة فما معنى عد الأشعري له فاعلاً مختاراً. مع حصر الإيجاد فيه تبارك وتعالى. انتهى بالمعنى وحله ظاهر مما حررته.

ثم المراد بالعزم المصمم هو الإرادة الجزئية التي هي شرط عادي لخلق الله تعالى الفعل عقبه كما مر. ومغايرتها للفعل بديهية لأنها أمر متقدم عَلَى الفعل ذاتاً ومتأخر عنه وصفاً. بمعنى أنها لا تسمى كسباً إلا بعد خلق الله تعالى الفعل. وإن كان الخلق متفرعاً عليه عادة. كالرمي لا يسمى قتلاً إلا عقب خلق الله تعالى الموت به. وإن كان الموت ناشئاً عنه وله نظائر كثيرة. وأيضاً هو من الأعراض الإضافية ولا وجود لشيء عند أهل الحق سوى الحركة والسكون والاجتماع والافتراق التي تسمى بالأكوان الأربعة عندهم، خلافاً للفلاسفة، كما حرر في محله، فتنزيل مذهب الإمام الماتريدي على مذهب الأستاذ مع القول بأن الكسب عنده أمر إضافي. هو الإرادة الجزئية التي هي أثر لقدرته. فيه تناقض ناشئ عن خلط المذهب الحق بخرافات الفلاسفة. أو عن الغفلة عن بيان المذاهب لأنهم صرحوا فيه بأن القدرة عند الأستاذ مؤثرة في أصل الفعل. وقالوا مراده إن قدرة العبد ضعيفة تقوت بإعانة الله تعالى فأثرت في أصل الفعل بالإيجاد، لئلا يلزم توارد العلتين عنده. والإرادة الجزئية أمر عدمي يتوقف عليه الفعل الموجود في الخارج توقفاً عادياً. فصار التنزيل المار مع القول المذكور في قوة قولنا أثرت قدرة العبد عند الماتريدية في أصل الفعل. وما أثرت فيه بل في شرطه العادي وأثر القدرة عندهم أمر موجود في الخارج وأمر اعتباري لا وجود له في الخارج. والإرادة الجزئية عندهم أمر عدمي وموجود في الخارج. والتناقض في المقدمات الثلاث أظهر من أن يخفى ـ ولا يجوز أن يراد أن الفعل لما خلق بسبب قدرة العبد سميت مؤثرة. لأن الله تعالى لا يخلق الفعل عادة ما لم يصرف العبد قدرته صرفاً جازماً كما توهمه بعضهم. لأن هذا قدر مشترك بين مذاهب القاضي والأشاعرة والأستاذ، إذ الكل متفقون (خلافاً للمعتزلة) على أن الله تعالى

لا يخلق الفعل ما لم تتعلق قدرة العبد، ومتفقون على أن قدرة العبد بخلق الله تعالى. والعبد مضطر فيها وفاقاً للمعتزلة. وإنما الفرق بكونها مؤثرة في أصل الفعل استقلالاً أو إعانة بكون الصرف الجزئي أثر قدرة العبد. وهي مؤثرة في وصف الفعل بواسطتها وغير مؤثرة قطعاً. المؤثرة والصرف من لوازم الإرادة المخلوقة في العبد بلا اختياره مع أنه ناشئ عن عدم الفرق بين التأثير وما يتوقف عليه التأثير. والقدرة لا تصلح للمحلية مع أن صحة الإطلاق المارة لغة يمنعها التقابل أي (تقابل المذاهب). فافهم فإنه دقيق.

وزعم بعضهم أن المؤثر عندهم قدرة العبد ابتداءً واستقلالاً. ولما كانت القدرة والاختيار مخلوقين له تعالى. كان الفعل المخلوق للعبد أولاً مخلوق له تعالى بالواسطة غفلة عن رجوع هذا إلى نفس الاعتزال. وأنه يلزم عليه ما لزم المحقق الكمال ـ وجعل بعضهم مذهب الأشعري جبراً محضاً. ونزل مذهب الماتريدي على مذهبه ـ وزعم بعضهم اتحاد المذهبين في هذه المسألة. والكل باطل ناشئ عن أمور (أحدها) قلة التتبع (وثانيها) شدة غموض الفرق بين المذهبين، لما تواتر من النقل عن السلف قبل ظهور البدع والأهواء في هذه المسألة، أنه لا جبر ولا تفويض. ولكن أمر بين أمرين. وأجمع أهل السنة عَلَى حقية المذهبين. والمتبادر من المذهب المتوسط بين الجبر والقدر. أن يكون واحداً لا متعدداً فأشكل عليهم الأمر لصعوبة تحرير مذهبين حقين واقعين في حلق الوسط. متزهين عن جهال الجبر وشركة الاعتزال. فتجاذبوا أطراف المسألة من غير إمعان. فوقعوا فيما وقعوا (وثالثها) أن السلف لما نهوا عن الخوض في هذه المسألة وتركوا المناظرة فيها لشدة خطر الوقوع في أحد طرفيها. لم يحرر الإمام الماتريدي رحمه الله مذهبه فيها تفصيلاً تورعاً واتباعاً للسلف لعدم احتياجه إليه للبعد عن المبدعة، ولهذا تشعب أصحابه، فذهب أكثرهم إلى أن مذهبه مذهب القاضي أبي بكر الباقلاني. وتوهم أحد منهم غير ذلك كما قدمت الكل مع تزييفه.

وأما الإمام الهمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله فاحتاج لكونه بين أظهر المعتزلة والمبتدعة ومبتلى دائماً بالمناظرة معهم وإبطال مذاهبهم كما هو في الكتب مسطور، وبالألسنة مذكور، وبين العلماء مشهور، إلى تحرير مذهبه حق التحرير، وتواتر القدر المشترك منه بين أصحابه، حتى اتفق جميع المحررين لمذهبه عَلَى أنه لا تأثير عنده لقدرة العبد بالفعل وإن تخالفوا في وجوه التحرير.

ولأجل هذا أيضاً ترى كتب الأشعري في العقائد مشحونة بالدلائل القاطعة. والبراهين الساطعة. والخوض في كثير من التأويلات والتدقيقات.

ثم اعتذر عنها في كتابه (الإبانة في أصول الديانة) الذي هو آخر مؤلفاته وعليه التعويل في مذهب الأشعري، كما صرح به غير واحد. وقال فيها لولا الاضطرار بسبب منازعة المبتدعة لما تكلمت بشيء من ذلك. وصرح بأن مذهبه في المتشابهات التفويض مثل مذهب السلف. لكن المبتدعة ألجؤوه إلى التأويل. وترى كتب الماتريدي نفسه أكثر ما فيها المسائل من غير دلائل ومتأخرو أصحابه رجعوا في التدوين إلى سياق الأشعري لشيوع الابتداع والرفض والجبر والاعتزال. وشدة الاحتياج إلى التحرير والتدقيق والاستدلال. وكل هذا ظاهر عند من له باع في هذا الفن. وبه يندفع في حق كلا الإمامين أقاويل من ظن فيها بعض الظن.

والعبد المسكين لكون مذهبه مذهب السلف بعينه وطريقته الصديقية عين طريقة الأصحاب وأجلة التابعين. عسر عليه الخوض فيما نهوا عنه. لكن لما رأيت المسألة مع كونها من أمهات المسائل الدينية وأساس كثير من العقائد اليقينية. وقع فيها الخلط والخبط. والتشتيت وعدم الضبط. شرعت فيها اقتداءً بالإمام الأشعري ومتأخري أصحاب المذهبين. متبرئاً من حولي وقوتي ومخرجاً لوجودي من البين. متمسكاً بقوة وحول ذي الطول الذي ليس إلا عليه التعويل فهو حسبي ونعم الوكيل.

اعلم أن الإرادة الجزئية التي هي الكسب عند الماتريدية صادرة عن العبد باختياره. وأثر لقدرته عندهم لأنهم مع منعهم أن يكون العبد موجداً لشيء إجماعاً من محققيهم يجوزون أن يكون له قدرة ما تختلف بها النسب والإضافات على وجه لا يلزم منه وجود أمر حقيقي أصلاً كما صرح به صدر الشريعة في التوضيح. ونسبه إلى مشايخ مذهب الماتريدي. وأفاده المولى حسن جلبي في حاشية شرح المواقف. وهي شرط أو سبب عادي لخلق الله تبارك وتعالى الفعل كما مر غير مرة وتتعلق بوصف الفعل أعني كونه طاعة أو معصية كلطم اليتيم إن أريد به تأديبه فطاعة، أو إهانته فمعصية، فهي أثر لقدرة العبد ووصف الفعل الذي هو أيضاً أمر اعتباري عدمي كما تدل عليه الكلية المارة عن أهل الحق، وصرح به غير واحد عن فضلاء المذهبين أثر لها وأثر الأثر أثر والأمر العدمي يجوز أن يتوقف عليه الأمر الموجود كعدم الموانع فاندفع بهذا أمور (أحدها) كيف

يترتب الأمر الموجود في الخارج على غير الموجود فيه (والثاني) أن قولهم أثر القدرة هو العزم المصمم المعبر عنه بالإرادة الجزئية ينافي قولهم هو كون الفعل طاعة أو معصية (والثالث) أن معنى كون القدرة مؤثرة عندهم إن كان أنها من الشروط العادية مثلاً فهو عين مذهب الأشعري. أو أنها مؤثرة بالإيجاد في أصل الفعل فهو عين مذهب الاعتزال إن أريد التأثير بالاستقلال، وعائد إلى مذهب الأستاذ إن أريد على جهة الإعانة والإسعاد.

ومن هذا نشأ بعض الأقاويل الباطلة العالقة ووجه الاندفاع أنها لا تأثير لها في اصل الفعل كما عند المعتزلة والأستاذ، ومؤثرة في أمرين اعتباريين هما الإرادة ووصف الفعل بالطاعة والمعصية بخلاف مذهب الأشعري، فإنها لا تأثير لها عنده حتى فيهما، وزعم بعضهم أن العدم لا يصير أثراً للقدرة ولا معنى لتأثير القدرة في شيء إلا إخراجه إلى الوجود منشؤه عدم الفرق بين الأعدام الأزلية والأعدام الحادثة بعد الوجود والأمور الاعتبارية المتجددة فإن الأولى لا تصير أثراً للقدرة، وفي جواز تعلق الإرادة بها كلام بينته في غير هذا المحل والأخيرتين لا خلاف في جواز صيرورتهما أثر القدرة كالحوادث الموجودة والمنكر لهذا معذور لعدم اطلاعه بشرط أن لا ينازع فيه، وقوله (ولا معنى للتأثير للقدرة في شيء إلا إخراجه إلى الوجود) لا معنى له لأن من جملة معانٍ تأثير القدرة في شيء إخراجه إلى نفس الأمر، ومنها إعدامه ومنها إفاضة الوجود عليه

إن قلت فهلا لزمت الشركة التي بالغت في الفرار عنها وما الفرق بين هذا التأثير والتأثير الذي أنكرته على الإمام ابن الهمام (قلت) بينهما فرق عقلاً ونقلاً (أما الأول) فلأن إفاضة الوجود أتم وأبلغ من تفرع الأمر الاعتباري بل لا نسبة بينهما، ومن ثم رتب الحق تبارك وتعالى على الخلق الذي عين إفاضته الوجود استحقاق العبدية في آيات شتى (وأما الثاني) فلأنه تبارك وتعالى أطلق مراراً على ذاته المقدسة أنه خالق كل شيء والخلق بمعنى الإيجاد، والشئ في اصطلاح أهل السنة بمعنى الموجود والأمر الاعتباري، والحال ليسا بموجودين فجعل الوجود أثر قدرة العبد يصادم النصوص بخلاف الأمر الاعتباري والحال ـ وبه يندفع استعظام بعضهم أيضاً مطلق تأثير القدرة لأنه ناشيء عن عدم الفرق بين الإيجاد والتأثير في الأمر الاعتباري.

وأما عند الأشعري فالكسب عبارة عن مقارنة قدرة العبد وإرادته بالمقدور بشرط عدم تأثيرهما بالإيجاد كما في المواقف وغيره، وتلك المقارنة شرط عادي

لخلق الله تعالى ذلك المقدور وصرف القدرة تابع لصرف الإرادة، وهو عبارة عن ترجيح الفعل والترك، وهو لذات الإرادة كما يفصح عنه قولهم في تعريفها إنه صفة من شأنها ترجيح أحد المتساويين.

(وههنا إشكالات) أحدها أن مقتضى الذات لا ينفك عنها فكون تعلق الإرادة مقتضاها يقتضي تعلقها بأحد الطرفين ولو لم يكلف العبد فما فائدة التكليف. (والإشكال الثاني) مدار كسب الأشعري على ما قررته عَلَى تعلق الإرادة الذي هو أمر لازم للإرادة فما معنى اختيار العبد عنده (والإشكال الثالث) أنه لا يظهر على ما ذكرت معنى كون الفعل طاعة أو معصية، لأن مداره كان على أن يحدث العبد بقدرته غير مصمم به يصير الفعل طاعة أو معصية كما مر في مذهب الماتريدية، فإذا لم يكن لقدرة العبد تأثير عند الأشعري أصلاً لم يصر الفعل طاعة أو معصية.

والجواب أن الإرادة تابعة للعلم فكذا مقتضاها، فإذا علم العبد تكليفه بالطاعة والاجتناب عن المعصية وأن الله تعالى وعده على ذلك النظر إلى وجهه الكريم والفوز بالنعيم المقيم يصير هذا العلم داعياً له إلى الطاعة كما أن وساوس الشيطان اللعين بمعونة النفس الأمارة مع شهوة الاستراحة والتفكه باللذائذ الفانية وتقديمها على الدولة الباقية تصير داعية له إلى المعصية فيتشعب تعلق الإرادة بأحد الطرفين لانجذابها إلى لخير لأجل الداعي الأول. وإلى الشر لأجل الداعي الثاني. وكون العبد مجبوراً في الإرادة لا يستلزم الجبر في الأفعال الصادرة بها كما في أفعال الباري تبارك وتعالى فإن إرادته تعالى صادرة عنه بطريق الإيجاب مع أنه فاعل مختار في أفعاله وفاقاً، كما صرح به غير واحد من المحققين على أن بداهة الفرق بين الحركتين محققة للاختيار وجهل السائل بكيفيته لا يضر.

ثم القدرة كما أنها غير مؤثرة بالفعل غير مؤثرة بالقوة أيضاً على ما هو المشهور من مذهب الأشعري لكن تعلقها الناشيء عن تعلق الإرادة الناشيء عن ذات الإرادة شرط عادي لتأثير قدرة الباري تعالى، فالفعل صادر عنه تبارك وتعالى بقدرته بسبب قدرة العبد، ولولا تعلق قدرة العبد لما خلقه كما أن المؤثر بالإحراق هو الله تعالى وفاقاً، ولولا مس النار للمحرق لما أحرقه ويزيد العبد عنده بالنسبة إلى الفعل على النار بالنسبة إلى الإحراق بكونه متصفاً بالقدرة والإرادة وبتعليق قدرته بالمقدور بإرادته، ولهذا يتوقف كل فعل من أفعاله الاختيارية البدنية على المبادىء الأربعة التي في التصور بوجه ما، والشوق الجزئي المنبعث

منه والقصد الجزئي وتحريك الأعضاء التي هي مبادئ لكل فعل اختياري يفعل بالجوارح، ولا يشتبه عليك الأمر من كون العبد مضطراً فإن الأشعري يلتزم الاضطرار في الاختيار مع كون العبد مختاراً، إذ الاضطرار في الاختيار محقق للاختيار لا ناف له كما مر، وصرح به السعد في كتبه، بل البيضاوي في أحد تفاسير قوله تعالى: ﴿وما كان لهم الخيرة﴾ على أن الحسن والقبح لكونهما شرعيين عنده يجوز التكليف مع الجبر المحض على أصله فكيف بالجبر المتوسط ووجه تركهم الاستدلال بهذا المذهب اشتراكه بيننا وبين الجبرية الموهم للاشتراك معهم في أصل المسألة مع بداهة بطلان مذهبهم عند الكل ولما وقع البحث عن الحسن والقبح أحببت أن أفصله لك لنفاسته وبناء أصول كثيرة عليه وخفاء تفصيله والفرق بين مذهبي الحنفية والمعتزلة في المسألة وفروعها عند كثير من الناس.

أعلم أن للكلام في الحسن والقبح مقامات أربعة المقام (الأول) كل منهما يطلق على ثلاثة معان أحدها الحسن صفة الكمال كالعدل والقبح صفة النقص كالظلم (ثانيها) الحسن ملائمة الغرض كموت العدو والقبح منافرته كموت الصديق وقد يعبر عنهما بالمصلحة والمفسدة (ثالثها) الحسن تعلق المدح عاجلاً والثواب آجلاً والقبح تعلق الذم عاجلاً والعقاب آجلاً وهو المتنازع فيه إذ هو عندنا شرعي وعند المعتزلة وجمهور الحنفية عقلي (المقام الثاني) معنى القبح شرعاً النهي تحريماً أو تنزيهاً والحسن بخلافه، فالمباح حسن، وقيل القبيح المنهي عنه، والحسن المأمور به، فهو واسطة، كفعل البهيمة وفعل الصبي مختلف فيه، والقبيح الشرعي يصير حسناً، وبالعكس، لجواز اعتوار النهي والأمر على شيء واحد بالنسخ (المقام الثالث) الخلاف مبني على أن الفعل هل له جهة يحكم العقل بسببها بحسنه أو قبحه وتقتضي كونه مأموراً أو منهياً سواء أدركها العقل بنفسه بداهة أو بالنظر أو لم يدركه إلا بعد ورود الشرع أولاً حكماً للعقل فيهما لأن الفعل لا يقتضي في نفسه المدح والذم والثواب والعقاب، وإنما يصير كذلك بالشرع ويتبنى عليه نجاة أهل الفترة وأن لا حكم قبل الشرع. الثاني مذهب الأشاعرة والأول مذهب المعتزلة وجمهور الحنفية كما مر، ثم اختلفوا في أن السبب المقتضي لهما ذات الفعل أو وصفه حقيقية له أو اعتبارية أو المحتاج إلى المقتضى هو القبح والحسن بكيفية التقاء موجب القبح، قال بكلٍ بعضٌ. المقام (الرابع) الحنفية قاطبة في أصل المسألة وبعض فروعها كمنع التكليف بما لا يطاق، وافقوا المعتزلة وخالفوهم في أكثرها، فقالوا بأن الله تعالى حاكم عَلَى الإطلاق

ولا حاكم عليه، فنفوا وجوب نحو اللطف والأصلح والثواب والعقاب عليه تعالى، لأن أضدادها لا تخالف الحكمة، وبأن العقل ليس موجباً للعلم بالحسن والقبيح لا مباشرة كما في البداهة ولا توليداً بل آلة عادية يخلق الله تعالى عندها العلم في الإنسان ابتداء عقب التفاته المجرد أو مع الفكر كسائر الأسباب العادية.

واختلفوا في بعض الفروع فقالت البخارية منهم عقلاً لكل ما قال به الأشاعرة شرعاً، قالوا لا يجب قبل البعثة إيمان ولا غيره ولا يحرم كفر ولا غيره، ولا يجب شكر المنعم بل بلا إذنه لأنه تصرف في ملك الغير، بل قالوا قد يجوز العقاب عقلاً عليه، وقالت السمرقندية وفاقاً للماتريدي بوجوب شكر المنعم قبلها وأرادوا به وجوب الايمان به تعالى ووجوب تعظيمه وحرمة نسبة القبيح إليه ووجوب تصديق نبيه صلى الله عَلَى كل نبي وآله وصحبه وسلم تبعاً لخاتمهم، عدنا إلى المقصود.

في شرح المواقف وفاقاً للآمدي أن القدرة عند الأشعري مؤثرة بالقوة بمعنى أنه لولا أن الله تعالى خلق الفعل لأوجده العبد بقدرته، لكن لما تهيأ العبد لإيجاده اختطفه القوي المتين تبارك وتعالى من بين يديه لئلا يشاركه أحد في الخلق الذي هو أخص أفعال الألوهية لما مر من ترتيب الحق تعالى عليه استحقاق العبودية انتهى محرراً. وقال الإمام الغزالي لما بطل الجبر المحض ببداهة بين حركة المرتعش وحركة المختار وبطلت خالقية العبد بالأدلة العقلية والنقلية المبسوطة في الكتب الكلامية وجب اعتقاده أن فعل العبد مقدور بقدرة الله تعالى اختراعاً وبقدرة العبد على وجه آخر معبر عنه بالكسب انتهى بالمعنى، وحاصله أن للقدرة الحادثة علاقة بالمقدور. عليها مدار التكليف والثواب والعقاب ووجود هذه العلاقة بديهي وهي المسماة بالكسب ولا يلزم أن نعلم حقيقتها وكيفيتها وهو في غاية الحسن، وهو ملائم لقواعد السنة السنية الغراء إذ المسألة مما لا بد فيه من نوع تفويض في الكيفية مع الاعتقاد الراسخ في أصله ومن ثم أجرى بعضهم هذا القول على ما يعم مذهب القاضي أيضاً الذي هو مذهب الماتريدية.

إن قلت من الناس من زيف مذهب القاضي وأنكر كونه عين مذهب الماتريدية فما وجهه قلت وجهه توهم أن معنى تعلق القدرة الحادثة بكون الفعل طاعة أو معصية تأثيرها فيه بالإيجاد وأن كون أثرها أمراً اعتبادياً وأمراً موجوداً في الخارج متساويان في الحظر وعدم الجواز، وقد حققت لك بطلانهما بعون الله تعالى.

إن قلت توهم عبارة المحقق الدواني عدم صحة تأثيرها في وصف الفعل كما في أصله وصرح العارف السنوسي بعدم جواز كون الحال أثراً لها ـ قلت: الأول مبني على الأول والثاني على الثاني مع أنه ليس وراء الوجود سوى المعدوم ولم يقل بالحال إلا شرذمة قليلة من المتكلمين وأكثرهم من المعتزلة، ومنه يعلم ضعف إنكار السنوسي أيضاً لنقل هذا القول عن القاضي نعم إنكاره نسبة موافقة الفلاسفة إلى إمام الحرمين في محله ووافقه غير واحد من المحققين وتزييف القول المنسوب إلى الأستاذ أيضاً متجه لتوارد العلتين، وقولهم قدرة العبد غير مستقلة بالتأثير تبعاً للسعد في شرح المقاصد بدفع توارد العلتين المستقلتين لكن يلزم عليه جواز تبعيض قدرة الباري تعالى وهو محال، كما صرح به المحقق الدواني في برهان التمانع وشيدت أركانه في مواضع من تعليقاتي عَلَى الحواشي الهندية على الخيالية، ولبعضهم هنا إسهاب في تصحيح مذهب الأستاذ ناشئ عن عدم التنبه لما فيه من الفساد، وعدم الفرق بين الموقوف عليه التأثير والمؤثر، مع وضوح الفرق بينهما عند أهله، لأن الأول يصدق حتى عَلَى الإعدام وقدرة الأشعري بخلاف الثاني.

فنقول لا نسلم صحة هذا القول منه ولئن سلم فلعله صدر عنه في مباحثة جدلية لإفهام خصم قويت منافرته عن الحق فاحتال في جذبه إلى الحق بنحو من السرقة، ولذا قال المشايخ ما ينقل عن عالم من المباحثة لا يجوز جعله مذهباً له، قاله السنوسي، ولئن سلم فلا يؤاخذ به، لأنه بذل جهده في الوصول إلى الحق، ولا يقلد فيه لظهور خلله، ومنه يعلم شدة خطو حمل مذهب الإمام الماتريدي عليه، كما فعله بعض المؤلفين في البسملة تبعاً لوالده الماجد، ومرت الإشارة إليه، والفرق أن الأستاذ أحد رجال الأشاعرة كالقاضي وما قلدهما أحد من الأشاعرة فيها لاتباعهم الأشعري وانحراف قوليهما عن مذهبه على التفاوت، والماتريدي قدوة أكبر فرق أهل السنة وهم السادة الحنفية، ولم يثبت أنهم خالفوه في هذه المسألة، ففي جعل القول المعترض مذهباً له إخلال بعقيدة السواد الأعظم والله تبارك وتعالى أحكم وأعلم.

فالذي تحرر فيما فيه اشتراك المذهبين وما به امتيازهما أنهما متفقان في أن العبد فاعل ومختار، وأن له كسباً هو مدار التكليف، وأن الاستطاعة بمعنى القدرة بشرط استجماعها لشرائط التأثير مع الفعل زماناً ويدونه معه وقبله وبعده، وخلافه ضعيف أو مؤول، وبمعنى سلامة الأسباب قبله، وعليهما مدار التكليف

والفعل مخلوق له تعالى وحده، وأن الحق ما تواتر عن السلف من أنه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، واسم الخالق مخصوص به تعالى والكاسب والعامل مخصوص بالعبد والفاعل والمختار والقادر والمريد مشترك في الإطلاق لا في الحقائق، وجميع الآثار وهذا الاختصاص والاشتراك تابع لاختصاص المأخذ واشتراكه وأن الكسب أمر اعتباري. وهذه أحد عشر وجهاً مشتركة بينهما، وتزداد بتغير الاعتبار، ومفترقان في أن الكسب أثر القدرة المؤثرة في وصف الفعل فقط عند الماتريدية. وبمقارنة الغير المؤثرة بالفعل في شيء من الفعل والوصف مع الإرادة عند الأشعري. ومتعلق القدرة الوصف فقط عندهم. والفعل والوصف عنده. ويمتنع تعلق القدرة بلا تأثير عندهم. ويجوز عنده. ولا يجوز صدور الفعل بقدرة العبد لولا تعلق قدرة الباري تعالى عندهم. ويجوز عنده بناء على تحريريّ السيد والآمدي، وهو المراد بقول بعضهم إنها غير كافية عندهم. وكافية عنده على فرض عدم تعلق القدرة القديمة والقدرة الحادثة مؤثرة بالفعل عندهم غير مؤثرة عنده وهذا فهم من معنى الكسب وصرف الإرادة التي هي العزم المصمم أثر قدرة العبد ناشئ عنه باختيار عندهم هذا أيضاً فهم مما مر ومقتضى ذات الإرادة عنده وهي غير موجودة بخلاف الإرادة الكلية عندهم ولا فرق بينهما عنده ولا صنع للعبد في شيء منهما فإن الإرادة صفة ذات إضافة تطلق وتقيد والمشروط عادة يتعلق قدرة العبد خلق الله أصل الفعل فقط. أما الوصف فصادر بتأثير القدرة بوساطة العزم المصمم عندهم، وكلاهما عنده وهذه ثمانية وجوه للامتياز بين المذهبين، وما استحضرت الآن مما به الاشتراك والامتياز بينهما أكثر من هذه الوجوه، وفي بعضها التصريح بما علم ضمناً لمزيد التوضيح.

تنبيهان (أحدهما) نسبة القول المقابل لقول الأشعري إلى الماتريدية لا الماتريدي غالباً لأن هذه التدقيقات إنما صدرت من متأخري أصحابه لا منه لما من الله تعالى عليه بالمحافاة من اختلاط المبتدعة، فاختار طريق السلف في المسألة كما قدمته، فاخترت ما هو أقرب إلى الصدق وتبعت هواه في عدم نسبتي إليه ما أتورع عن الخوض فيه (ثانيهما) صرح اللقاني في شرحه عَلَى (الجوهرة) وفاقاً للمولى الخيالي ولحسن جلبي في (شرح المواقف) نقلاً عن (أبكار الآمدي) أن نزاع الأفعال جار في أفعال جميع الحيوانات، وقد أشرت إليه في أوائل الرسالة، وزاد اللقاني أنها تعم فعل كل جماد أو نبات صدرت عنه صورة فعل اختياري كمشي الحجر وتسبيح الحصى وحنين الجذع وإظلال الغمام وتسليم

الحجر ونطق الذراع له صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وأن المراد بالعبد في كلامهم مطلق الحيوان، انتهى ملخصاً، أقول: ويجوز أن يراد به المكلف كما هو الظاهر ولتخصيصه وجوه لا تخفى، وإن اقتصر الخيالي منها عَلَى عدم جريان بعض الأدلة فيما سواه والحمد لله رب العالمين.

أورد في كتاب (بغية الواجد) وصيته إلى خلفائه قبيل موته فقال[1]:

قد أوصى وأكد قبيل مرضه في يوم الثلاثاء وفي ليلة الأربعاء وصية كررها أربع مرات - أما في المرة الأولى والثانية فقد قال قدس سره (أوصيت بثلث مالي وأملاكي حتى البيت، وجعلت وصياً على الثلث المذكور الشيخ إسماعيل الأناراني، وبعده الشيخ محمد الناصح، وبعده الشيخ عبد الفتاح العقري، أن يبنوا منه قرب قبري صهريج ماء للخيرات، وينصبوا الشواهد على قبري وقبور أبنائي وأقربائي وخلفائي من غير تعظيم وألقاب، بل نحو هذا قبر الفقير إلى رحمة مولاه الكريم فلان بن فلان النقشبندي المجددي - وأما كتبي فقد وقفتها سابقاً وأن يجعلوا ألف قرش منها لإسقاط صلاتي، وسكت عن بحث الإرشاد لأحد - وفي المرة الثالثةوالرابعة كرر قدس سره ما سبق وزاد فيمن جعلهم أوصياء وهو إسماعيل أفندي الغزي العامري شقيق حرمه المحترم. ثم جعل الوصاية بعده لأصلح أقاربه بشرط العلم والإرشادثم لأرشد المريدين في الطريقة العلية الخالدية ثم ذكر كيفية وقف كتبه الشريفة على تفصيل ما كتبه بيده الشريفة على أول صحيفة من ورق قاموسه الخزنوي المهدى إليه من مكي زاده شيخ الإسلام مصطفى عاصم أفندي (ذكره في الرقعة ٩٢ من بغية الواجد) وشرط قدس سره أن لا تخرج الكتب من المدرسة التي أفرزها من داره وجعلها مسجداً لله الكائنة الآن في محلة القنوات المعلومة بدمشق (وأن تكون الناظرة على الحرم حليلته المحترمة أم المريدين والدة بهاء الدين لا غير، وكل ما يتعلق بهن لهن فلا يعد من الثلث المذكور. وأن لا تدخل امرأة أجنبية للبيت أبداً إلا إذا دعت الضرورة إلى مرضعة فتدخل بشرط أن لا تخرج إلا بعد إتمام مدة الرضاع، ثم قال قدس سره (وأما أملاكي التي في كردستان المعلومة الحدود والأجناس فتعطى لإخوتي هناك) ولم يكن له إذ ذاك منهم في قيد الحياة إلا شقيقه الأصغر سيدي الوالد الماجد خليفته الشيخ محمود الشهير بالصاحب وشقيقتهما المصونة ،ثم قال: (ويؤدى من ثلث مالي المذكور دين الشيخ أحمد البقاعي ودين

---

(١) بغية الواجد ٢٥٩

الشيخ إسماعيل الزلزلوي. وأن يتعيش الفقراء المخصوصون بهذا الطريق من الثلث لمذكور) واصنعوا منه طعاماً لهم، وأما مدرسة البيت فلا تقطعوا منها الصلوات، رأحب أن يقرأ فيها ختم الخواجكان، وأن يتقيد على الملا بكر والملا عمر - رأما بحث الإرشاد فلم يذكره إلا بقوله قدس سره إني أحب أن لا تخرج خلفائي من رأي إسماعيل الأناراني، وسكت عن من يكون بعده. ثم أجاب الشيخ إسماعيل، فقال: يا سيدي إني لا أحب ذلك ولا أليق به. فقال قدس سره. صدقت والأمر كذلك، ولكن الموجب لذلك هو عدم محبتك له ورغبتك فيه ثم قال لا تعدوا شمائلي ولا تبكوا علي واكتبوا إلى الأطراف والأكناف أن لا يبكي لفقداني أحد، وكل من له استطاعة وصدق في المحبة أحب أن يضحي الأنعام ويهب ثوابها إلي. ولا أقول أنا لا أحتاج إلى بعث صدقة أو قراءةآية كما قال بعض أرباب السكر والهيام بل أحتاج إلى فاتحة وسورة إخلاص. ثم قال من فرط غيرته الحذر الحذر على الحرم، فلو تحركت بخلاف الأولى في حقهم يا إسماعيل لن تراني في الآخرة. ثم قال فلتقض عني جميع فرائض صلواتي على عدد سنوات عمري من وقت وجوبها علي إلى وفاتي وهي خمس وثلاثون سنة (لأنه رضي الله عنه بلغ سنه الشريف خمسين عاماً إلا شهراً وسبعة عشر يوماً على الأصح، وعلى ما سمع منه مراراً وتواتر إلينا عمن نثق بكلامه) وهذا يخالف ما ضبطه العلامة الشيخ محمد بن سليمان الخالدي البغدادي في كتابه (الحديقة الندية والبهجة الخالدية) - ثم قال قدس سره قولوا للشيخ أحمد الخطيب والشيخ محمد الصالح، والشيخ إسماعيل بن الزلزلي، أن يسامحوني وأنتم سامحوني أيضاً، بل وجميع من في سائر البلاد، كذلك، مع أني لا أقصد في جميع أفعالي مع أتباعي إلا الصلاح والإصلاح ووجه الله تعالى، ثم قال يا إسماعيل اعرف قدر خلفائي. ولا تراجعوا الحريم قط في أمر الإرشاد والطريقة. ولا تزيدوا التكايا عما في عهدي، ومن أراد الإحداث فليعمر جامع العداس. ثم قال (عليكم جميعاً بالاتحاد والاتفاق، وترك الوجود والنفاق، واعملوا عملاً تقر عيناي بكم في قبري) وكل ما حذر منه وذكره جرى في آخر مجلسه العام، وبعد ذلك لم يتكلم مع أحد لا قليلاً ولا كثيراً بل دخل دائرة الحرم وتوضأ وصلى ركعتين، وقال الآن أصبت بالطاعون فأقبل على الله وتوجه إلى القبلة الشريفة، واشتغل بالأحوال القلبية والمناجاة الغيبية غير أنه روحي فداءه جيء إليه فنهر وقال دعوني وربي فما أبقيت علي شيئاً مما ينبغي من الكلام إلا قلته، ثم عطس في استغراق ونام من غير تخلل صحو، وذلك من ليلة الأربعاء

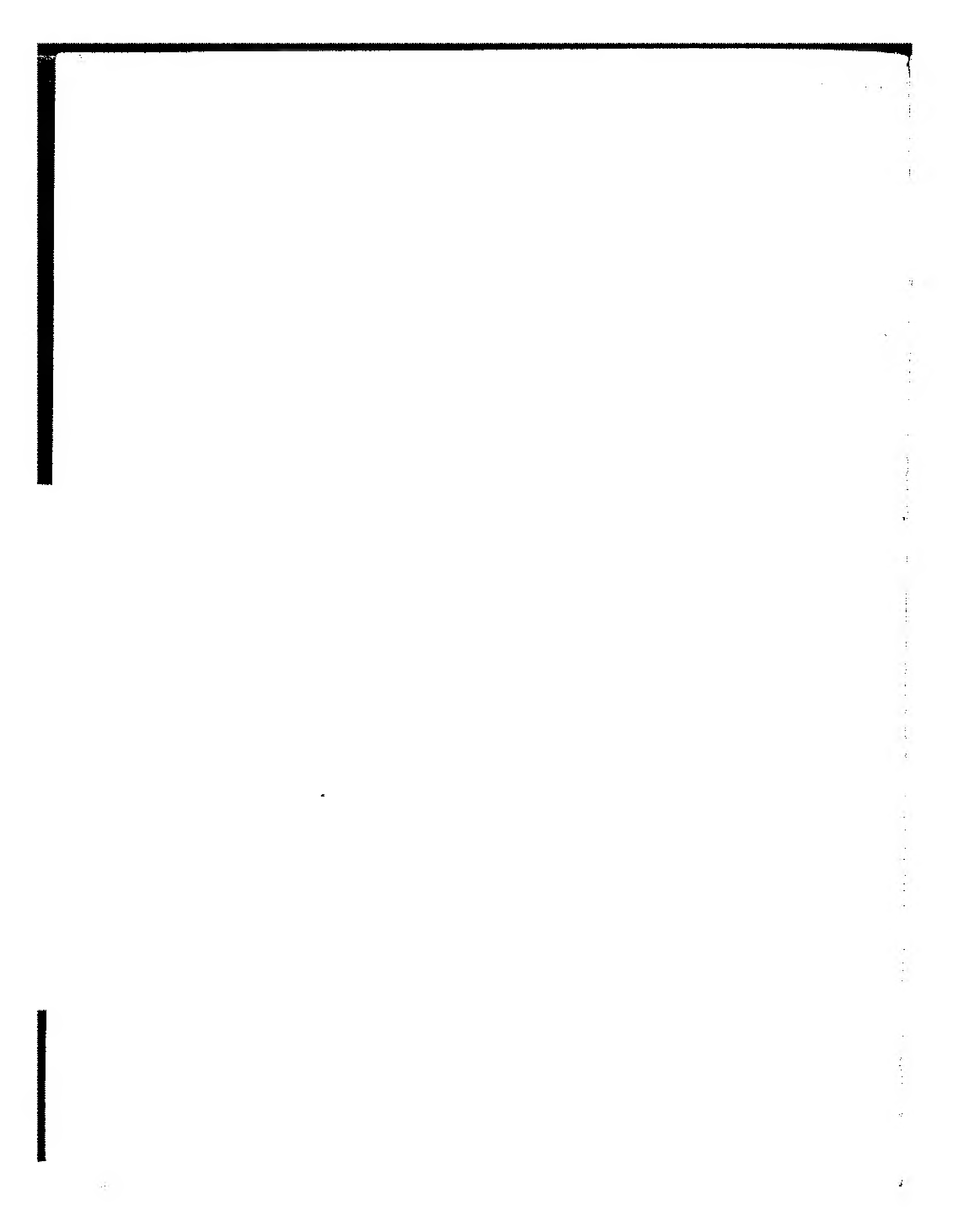
بعد العشاء إلى وقت المغرب من ليلة الجمعة ثالثة عشر من ذي القعدة من شهور سنة ألف ومئتين واثنتين وأربعين، ثم أفاق من استغراقه وقت أذان المغرب وقال مجيباً للمؤذن الله حق الله حق أربع مرات، ثم قرأ الآية الكريمة: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ فلبت روحه الزكية الشريفة الطاهرة المنيفة الأمر الإلهي المجاب.

الفهرس

١١٦٩

الموضوع	الصفحة





الشيخ خالد النّقشبندي من أهم الشخصيات العلمية التي أثرت خلال النّصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري ، ليس في حياة دمشق وأهلها فحسب ، بل وفي المشرق العربي كافة ، حتى عدّه بعض المؤرخين من مجددي القرن ، وسُمّي من أجل ذلك بالمجدّدي ، كما لقّبه آخرون بذي الجناحين ، تشبيهاً له بالطائر الذي يسبح في سماء الإسلام بجناح العلم وجناح التّصوّف ، أو بتعبير أهل التّصوّف : جناح الشريعة ، وجناح الحقيقة .

لقد كان الشيخ خالد علاّمة عصره في علوم الشريعة علماً مبرزاً بين العلماء الأعلام ، اشتهر منذ أن نشأ في نواحي السليمانية ، ومازال نجمه يعلو في أفق المشرق حتى طبّق صيته الآفاق ، فأقبل عليه المريدون من الأقاصي والأداني ولزموه .